


تأليف

محمد عبد القادر سراج الدين



مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر




تأليف

محمد عبد القادر سراج الدين



مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

# الى الروح الطاهرة

اليك في حياتك الخالدة الى روحك الطاهره الى حنانك الأبوى أقدم أول قطره من دموع حياتي أسطرها من حبات قلبي ، أستمد من فضيلة الحب بيانا ومن صفاء الخيال قوة ومن جمال الحقيقة سحراً ومن برکم بولدکم والناس وفاء ونوراً .

# كلمة أمير الشعر والبيان

## « سعادة احمد شوقي بك »

« قرأت فصول هذه الرواية ولما تقدم للطبع فوجدت »
« قصصاً حسناً أنساقت عباراته أسلس مساق واتسقت »
« حوادثه ألطف اتساق وتجانس الاشخاص على ملابسه »
« وتمكنوا فى نواحيهم فليس منهم من نبابه موضعه أو ثقل على »
« القارىء مطلعه الا مانذر ومالم يسلم أصحاب القصص المطولة »
« من الوقوع فيه ولقد طالما تمنيت أن يكون لشبان الوطن »
« ونجباء طلبة العلم من أبنائه أشغال يستريحون اليها من »
« دروسهم ويقبلون عليها بهوى نفوسهم فيفيدون ويستفيدون »
« ويستحدثون ويجددون ويستدفعون شيطان الفراغ اذا أعيي »
« بشيطان الشباب وأى شغل أروح للنفس وأجلب للانس »
« وأشحذ للذهن وأبعث لنشاط الخيال من هذا الفن الذى أجمع »
« المفكرون على حسن أثره فى تهذيب النفوس وترقية الاخلاق »
« لذلك كان سروري بهذه الرواية حين دفعها الى واضعها النابغ »
« سراج الدين لا يعدله الا أعجابي بقدرة خياله وعذوبة بيانه »
« ولطف اختراعه للحوادث » ؟

احمد شوقي

١٠ / ٣ / ١٩٢٤

# مقدمة

أعتاد الكتاب والروائيون تصدير كتبهم بمقدمات يفصحون فيها عن الأغراض التي يرمون اليها في ثنايا سطورهم ولقد أردت أن أحذو أثرهم فوجدت أن القلم سيطوي مني عدة صفحات لا يضيرني الاتيان عليها . ولكني تحققت أن مثل هاته الخلاصات طالما أذهبت برواء الكتاب وطمست من آثار الدقة وقوضت معالم الاتقان وخاصة في الروايات الموضوعه . ولا أقول سوي أن هذه الرواية التي أقدمها اليوم انما اردت بها تصوير الحب في مثله الأعلى وابرائه من اتهام البعض له من أنه عاطفة حيوانه غايتها اشباع الشهوات واستباحة ماتدفع اليه الطبيعة البهيميه فيسيئون الى معبود معصوم ويشوهون معنى من أكبر معاني الحياة ويفرطون عقدا هو زينة كل حي وسلوة كل محزون ، هو جُمّاع السجايا النبيلة والمبادىء السامية ، وهو أصل والفضائل كلها غصونه .

ولقد استمليت من وجداني عونا على تصوير تلكم المبادىء

الشريفة ومن مشاعرى روحا ضمنته غاية هاته الرواية وما أبغى غير انصاف العظمة الحقيقة فى هذا الوجود. والخلود الحي ما بقي هذا السكون، ذلك هو «الحب» الذى نشأ وترعرع منذ كان العالم. فهو الذى يربط الام بفلذة كبدها والاب بحشاشة صدره والزوج بزوجه، والصديق بصديقه والحبيب بحبيبته والجار بجاره والعشير بالعشير

أنا لا أعرف لماذا وجد العالم وخلق الانسان؛ وأنا أعلم أن العالم هوان وآلام وأن الحياة عناء وتعب كان الحب فيها داعماً مسريا لهمومه ومخففا لتكاليفها بل هو مصدر السعادة فيها

واذا كان هذا شأن الحب من السمو الذى نحسه فى كل مشاهداتنا فقد نباسهم من يتهم الحب أو يسىء تصويره ويرتكب باسمه الجميل النقى أوزارا هو منها برىء.

أيه أيها الحب كم من آثام ترتكب باسمك كل يوم وكم من شهوات بهيمية وسوآت منكرة يهوى اليها ضعفاء النفوس ثم يلقون عليك أثم طغيانهم. وهأنذا أستمد من وحى الحب قوة وبيانا أصور به جلال الحب فى وقائع ملموسة مترعة بالعبرة فياضة بالذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد

***

وأنى فى ختام هذه الكلمة لا يفوتنى أن أتقدم بكلمة اعتذار أرجو أن يتقبلها منى أمير الشعراء ورب اليراع سعادة أحمد شوقى بك لعجزى عن ايفاء شكره . لقد طوق هذه الرواية فضلا من شريف عنايته وخصص لقراءتها قبل أن تقدم للطبع ردحا من وقته الثمين فما أرحب صدره وما أجل تواضعه، بارك الله فيه ونضر أيامه

وأتقدم بشكرى لاخوانى وأصدقائى الذين تفضلوا بارشاداتهم النافعه فى انجاز هذه الباكورة وأدعو الحق سبحانه أن يلهم الجميع نعمة السداد والصواب لخير البلاد والسلام ؟

محمد عبد القادر سراج الدين

١٥ / ٤ / ١٩٢٤

١

# التمثال

يرى الزائر عند مدخل متحف مدينة مكسيكو تمثالا مصنوعا من البرنز لشاب نقش اسمه عند قاعدته تدل سيماه على جمال الطلعة حاد البصر والذهن وقاد القريحة تشع من اساريره دلائل الفطنة والذكاء كما يدل مجموع وجهه على دماثة اخلاق وخفة الروح ولطفها ثم الجرأة والمخاطرة وتحمل الآلام في شدائد الامور . تمثال عجيب يدل على مهارة صانعه ونباهة مبدعه فهو تمثال ناطق كأنه يتكلم لمحة واحدة كافية لان تورد فى خيالك ماهية ذلك الشخص الذى يمثله وتملى عليك كثيرا من أوصافه وخلاله ، ولا عجب اذا رأينا مثل هذا التمثال فى بلد كمدينة مكسيك عرف أهلها منذ القدم بحذقهم فى فن النحت

كانت اول نظره القيتها على ذلك التمثال كافية لاثارة اهتمامى التقصى عن أصله وتاريخه ولقد بلغ بى الكلف بهذا الامر اشغلنى عن التدقيق فى رؤية ما حولى من الآثار والمخلفات

وزاد اهتمامي بمعرفة صاحبه ما رأيت في ملامحه من السحنة الفرنسية
فهو إذن من مواطني هاجر الى هذه الاصقاع من زمن بعيد
فماذا كان شأنه بهذه البلاد حتي أقاموا له هذا التمثال بين
تراث أجدادهم ومجد أسلافهم ؟ على أن قلة معرفتي باللغة
المكسيكية التي تغلب فيها الاسبانية قد حال دون جرأتي على
سؤال أحد الحراس او العمال الذين بالمتحف وكلهم من الوطنيين
ولكن الرغبة الشديدة التي نبتت في نفسي كانت تدفعني دائما الى
السؤال وفي تلك اللحظة التقيت بموظف كان مارا من أمامي
علمت من الحارس الذي بجانبي أنه وكيل المتحف فاستوقفته ثم
استسمحته وخاطبته بالفرنسية سائلا اياه أن يزودني ببعض
المعلومات عن « المسيو رولاند أدعون » صاحب ذلك التمثال
البرنزي القائم عند مدخل المتحف فابتسم وما لبثت ابتسامته
أن تلاشت بين سحابة الدهشة والعجب التي علت جبينه عند ما
ذكرت له اسم « رولاند » كأنه دهش أن يرى سائلا يستفسره
عن هذا الاسم أو كأنه فرض أن جميع الناس يعلمون بشهرة
ذلك الشخص ! فكيف بي اسأله هذا السؤال : نظر الي
ثم قال :

يظهر لي ياسيدي أنك حديث العهد ببلادنا ولعل هذه اول زيارة لك لهذا المتحف

نعم ، فقد حضرت من فرنسا منذ اسبوع

حسنا ، أما «المسيو رولاند» وأظنك تود كفرنسي أن تعرف عنه الشيء الكثير فهو ذلك الأثري الشهير الذي بعث مجد بلاد المكسيك وكشف النقاب عن مدنيتها السالفة التي توجت تاريخنا بأعظم فخر واكبر اعظام ، لقد كان هو مكتشف معبد الملك «منتزوماه» أي مكتشف آثار العصر الذهبي في تاريخ بلادنا ، لم يكن المسيو رولاند منذ نشأته أثريا وانما له قصة غريبة يلذ لكل شخص وخاصة كل فرنسي الاطلاع عليها والوقوف على أسرار تلك الحياة الحافلة بجلائل اعمال أحد مواطنيه الذين يقدمون اليه مثالا عاليا من سمو النفس ونبلها جدير بأن يكون له قدوة في حياته ولكن ليس هذا ياسيدي محل ذكر شيء من ذلك التاريخ الجليل ومع هذا فلكي تستطيع أن تتصور جلال العمل الذي قام به فأنه يكفيك ان تلقي نظرة واحدة على محتويات الجناح الايمن من هذا المتحف وهي جميعها من مكتشفاته وقد نقلت منذ أعوام قليلة من مكانها الذي وجدت فيه حيث بقيت هناك عهدا

طويلا بعد اكتشافها الى أن هيأت لها مصادفة الآثار ذلك العجائج

قال ذلك ثم أراد أستئناف سيره ولكن مانوه به عن حياة المسيو رولاند كان لايزال عالقا بذاكرتى وقد قوى فى رغبة الاستطلاع على اسرار حياة ذلك العظيم ، لذا استمسحته مرة اخرى وسألته كيف استطيع الاطلاع على تاريخ حياة المسيو رولاند؟هل هو مكتوب فى كتاب أم هو محفوظ بالتواتر أم هو منقوش على بعض الآثار؟أم ماذا يكون الطريق او الوسيلة الى الوقوف عليه؟فأجابنى ليست قصة المسيو رولاند خيالية حفظتها الناس بالتواتر ولاهى ترجع الى العصور القديمة أيام أن كانوا ينحتون كتبهم وعباراتهم فوق الاحجار والصخور وانما هي قصة من القصص الشيقة صادفت هوى لدى الذين انتهت الى علمهم في غضون القرن الماضي وتناقلها العارفون بها عن مذكرات المسيو رولاند نفسه الذى كتب معظمها بخط يده ثم أتمت بقيتها صديقته لوسى ماعدا الفصلين الآخيرين فقد وضعهما المستر «ابراهام» مدير المتحف اذ ذاك الذي قام بطبع هذه المذكرات فى شكل قصة فيما بعد .

ولما كان المسيو رولاند قد قضى نحبه فى هذه البلاد ومن بعده

صديقته لوسى فقد استولت المدينة مدينة المكسيك على هذه المذكرات وعهدت الى المستر «ابراهام» بترتيبها وتنسيقها ثم طبعها ونشرها بين الناس تخليدا لذكري ذلك العالم الفاضل وتجد المذكرات الاصلية مع بعض النسخ المطبوعه محفوظة حتى اليوم فى احدى حجر هذا المتحف اما ما نشر من نسخ هذه المذكرات فقد تلقفته الايدى منذ الساعة الاولى لظهورها واحتفظ كل بها احترز ومن تجد عنده بعض هذه النسخ فأنك تراه قد وضعها ضمن مجموعة آثاره الغالية . هذا ما كان من أمر مذكرات المسيو رولاند التى هى عبارة عن تقرير لحياته الحافلة بجلائل اعماله الباهره

ولما يظهر لى ياسيدي من أنك شغف بالاطلاع على هذه القصة وقد لا يتسنى لك ذلك فيمكنني ان اعاونك على تذليل هذه المشقة بان اعيرك أحدى النسخ المحفوظة عندنا ، فامتلأ قلبي سروراً وشكرت لصاحبي حسن شعوره وعواطفه ثم تبعته الى مكتبه وقدمت اليه بطاقتي وعرفته بنفسى وكذلك قدم لى بطاقته فتقبلتها منه شاكراً ، ثم رافقنى بعد ذلك الى الجناح الأيمن من المتحف حيث بهرتنى ما فيه من الآثار النفيسة وفى أثناء جولتنا بين الكنوز تناول الوكيل مفتاحاً من جيبه وفتح مصراعاً زجاجياً

أخرج من خلفه غلافاً من الجلد فتحه وناولني منه كتاباً متوسط الحجم مكتوباً عليه عنواناً كبيراً هو « حياة المسيو رولاند أدمون مكتشف مقابر الملك منتزوما » وهنا برقت عيناي بهجة وفرحاً وانحنيت شاكراً له جميل صنعه وبعد أن انتهينا من رؤية جميع النفائس التي يضمها ذلك الجناح ودعته وخرجت .

تلك القصة أو ذلك التاريخ المجيد الذي اشتملت عليه صحائف ذلك الكتاب الذي قرأته في الايام القليلة التالية هو بعينه الذي سأودعه أوراق هذه الرواية التي أقدمها اليوم للقارىء الكريم ولقد نقلتها بقليل من التصرف وقصدت فيها الاسلوب القصصي حتى تكون أسهل متناولاً وأكثر تسلية ، وهي موضوع لسان المسيو رولاند نفسه اذ بدأها بذكريات عهد طفولته . . .

# ٢

# حياة الطفولة

يجتاز الانسان حياة الطفولة ذلك الممر الذي تشبه ذكراه ذكرى حلم لذيذ يفيض فيه نهر السعادة والهناء ثم يستيقظ منه فجأة فيرى أنوار الحياة الجديدة وهي تشع عليه بضيائها اللامعة الكبيرة ، المنيرة المعتمة ، في تلك الساعة لا نعلم أين أصبحنا ومن نكون ؟ بعد تلك الحياة الصافية حيث لا ألم ولا حزن . حياة كانت أبدية لا نعرف لها نهاية

ماذا يعكر على الطفل حياته وهى حياة كلها مملوءة سذاجة وطهارة ، أى ألم يشعر به أو أى شاغل يهمه ، انها حياة تسرى فيها روح العطف من تلك القلوب الصغيرة النقية التى هى كقلوب الطيور المغردة والعصافير المزقزقة ، قلوب أطفال تفيض كلها حنانا خالصا بعضها نحو البعض الآخر ، حياة تتوجها الوداعة وخفة الروح ، انها حقيقة جديرة بأن تكون حياة خالدة ترفرف عليها أجنحة السلام والطمأنينة

أني أراني قد نسيت كل شيء فلقد تشمع من خيالي ذكرى
ماضي ذلك العهد السعيد والحياة الهنيئة فأمست سطورها خفيفة
متسارعة نحو المحو والزوال فهي أشبه بالسطور التي تخطها على
صفحات الماء أو على وجه الرمال، لا تزال تمحوها الرياح شيئاً
فشيئاً حتى تتلاشى تماماً، كذلك سطور ذاكرتي فانها أمست
ملوثة متجعدة عبثت بها الايام والاعوام حتى محت كثيراً
من محفوظاتها.

أن طفولتي بعيدة العهد انكر كثيراً من حوادثها ولا أعي
أيامها الاولى، أرجع بتصوراتي وخيالي الى آثارها العتيقة فأراها
قد احتضنتها الأبدية حيث تنزوي الحوادث بين أطباق عصورها
المتعاقبة البالية.

على أني مازلت أذكر تلك السماء الصافية والطبيعة البهية
التي طالما انتعشت برؤيتها وكيف افترشت العشب الاخضر
مراراً وعبرت الحقول والمزارع طولاً وعرضاً تارة سيراً هادئاً
وأخرى عدواً سريعاً أقضي في ذلك الساعات الطوال دون أن
يعتريني ملل أو كلال، ثم كيف كان لي في ماء قنواتها وسواقيها
يمّاً مترامي الأطراف أطلق فيه عنان سفني وجواري المصنوعة

من الورق حيناً ومن الخشب أخرى وهى محملة بأنواع المشحونات من غلال وأكياس مما كان يستفرغ كل اهتمامى فأمضى فى هذا السفر الذى كان لا يتعدى أمتاراً معدودة نهاراً كاملا كنت أعده أبهج أيامى وأسعدها

ثم أذكر كيف كانت السحب المتكاثفة المتلبدة فى السماء التى تلقى بظلامها الدامس الرعب والهلع فى النفوس ثم الرعد والقصف الذى كان ينذر بالصواعق والشهب وكيف أن البرد والامطار تمحى بعد ذلك بغزارتها فنتلقاها بالبشر والسرور ثم كيف كنا ننتظر بفروغ صبر أن نرى تلك الالوان السبعة الجميلة ألوان قوس قزح التى كانت تطير لرؤياها نفوسنا فرحا وبهجة ، ثم كيف كنا نعجب بشجاعة بعض تلك العصافير المتمشة الوثابة التى كانت قلوبنا مثل قلوبها تبتهج لسقوط الامطار والغيوث فنقف ننشد لها الاناشيد والاغانى ثم كيف كانت تملأ قلوبنا الرحمة لتلك الطيور الشاردة الصارخة الباحثة عن مأواها الفارة أمام جيوش الامطار والزوابع .

وكذلك أذكر ذلك البناء الجميل الذى نشأت فيه وتربيت بين جدرانه ، كم أشعر بعاطفة حنان شديدة لذكرى الايام التى

قضيتها فيه ، أجل أنها عاطفة ممزوجة بلذة وشوق ووجد ..

كم تذكرني زواياه بالدمى العديدة واللعبيات الكثيرة التي كنت أواريها بينها وكم تذكرني رؤياه بأيام الاعياد والمواسم التى مرت علي فيه وأزهار شم النسيم ورياحينه وورده ..

أيه لقد تقادمت الايام ومرت الاعوام حتى انطمس كثير من حوادث الماضي ، أني أراني ناسياً كل شيء فيالك من ذاكرة ضعيفة أضعت أحلى ذكريات أيامك السالفة وحياتك الغابرة .

ذاك ما أعيه من أيام الطفولة تتخلله وجوه أصدقائي ورفاقي العديدين الذين كانوا يشاركونني كل اعمالي ثم وجوه افراد اسرتي المحبوبة ثم حدائق وأعشاب وخضراوات ناضرة ومياه جارية وسماء صافية وشمس ساطعة ...



## في المدرسة

مضت الاعوام وانطوت كأنها ما بين شروق شمس وغروبها وتركت قريتي حيث سعدت بتلك الحياة الصافية حياة الطفولة المتلألئة التي لها في الخيال لمعان كضياء الكواكب المنيرة في وسط الدجى الدامس ، وحيث تلقيت فيها أساس تربيتي ومبادىء تعليمي الاولى بين جدران مدرستها الابتدائية التي لها أحسن أثر في نفسي .

والآن وقد انتقلت الى جامعة باريس حيث أرى فيها كل شيء غريب لدي فقد اخذت تتوارد على ذاكرتي سني الماضية وأيامي الفائتة وبدأت سلسلة الحوادث السالفة والمناظر العديدة تمر أمامي واحدة بعد واحدة فذكرت حقول القرية ونضرتها وسماءها وزرقتها ومياهها ولمعانها ، كما ذكرت رفاقي واصدقائي فذكرت معهم العابنا ونوادر طفولتنا ، ثم ذكرت معلمي في المدرسة وأبي وأمي واخوتي وعائلتي فسرت في نفسي عاطفة الحنان والشوق وكذلك استمرت رأسي تفيض بحوادث الماضي الجمة حتى شعرت

بضيق يتملك فؤادي فهممت أسير من مكاني أنفض عني أثر هذه الذكريات الباعثة لألمي وحزني وبينما أنا أتقدم في سيري وجدتني قد خلفت الجامعة ورائي وأني صرت في منتصف الشارع المجاور لها وهنا توقفت قليلا ولكني عزمت أخيراً على الوصول الى نهاية الشارع ثم أعود الى الجامعة ، وما بلغت المكان المزمع حتى شخصت عيني تنظر الى شاب قادم في الطريق فتمتمت في نفسي قائلا « أليس هذا هو خادم الكونت دارتوي شريف قريتنا وجارنا في المسكن ؟ أجل انه هو خادمه وكثيراً ما رأيته بين فناء القصر وكثيراً ما أهداني بعض الازهار الجميلة ، هو مارلو بعينه هو هو » ثم صحت منادياً وكان في الجانب الآخر من الشارع :

« مارلو — مارلو . . . »

أخذ مارلو ينظر حوله وكأنه لم يعرفني في بادىء الامر فتردد هل يقف أو يتقدم في طريقه وارتفعت من جبينه أزمة اضطراب شديدة وما لحني وأنا أشير اليه بيدي حتى تقدم نحوي وذكر ما غاب عنه اولا ثم حياني وقال :

أجل يا سيدي ؟ أرجو أن تكون متمتعا بتمام الصحة والهناءة.

اني لله الحمد بخير وأود أن تكون سعيداً كذلك يا مارلو .

شكراً لك ياسيدي ومتى حضرت من القرية ؟

جئت منذ أسبوعين والتحقت بجامعة باريس ولكن من أين أنت آت الآن يامارلو ؟

اني آت من قصر سيدي الكونت .

وهل الكونت يقطن هذا الحي ؟

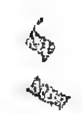
هو كذلك ، وقصره هو البناء الثامن في الجهة اليمنى من هذا الشارع شكراً لك يامارلو ، ثم ناولته فرنكا وأستأنفت سيري ، على اني عزمت في الحال على زيارة أسرة الكونت ، مواطن قريتنا وجارنا بها وصديق عائلتنا ولكن لما كان الوقت متأخرا فقد أجلت زيارتي الى الغد وعدت الى الجامعة .

وفي منتصف الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي قصدت قصر الكونت وما التقيت به بين ابنائه وافراد عائلته حتى امتلأ قلبي بعاطفة البهجة والارتياح فحييتهم بشوق وابتهاج فقابلوا تحيتي بأحسن منها ثم جلسنا جميعاً واخذنا نتجاذب اطراف الاحاديث بين الماضي والحاضر وبينما اسمع لهم واحدث اليهم اذ تملكتني عاطفة غريبة لم اشعر بها من قبل كما شعرت برغبة لا تقاوم للنظر الى اتجاه معين من الحجرة التي كنا جالسين فيها ، ذلك الاتجاه

هو حيث كانت لوسى ابنة الكونت الكبرى فلما التقى بها نظرى احسست انى اسمع اذ ذاك دقات قلبي المتسارعة المتباطئة فأرخيت طرفي مرغما حتى لا يفطن لامرى احد ثم اسدلت على افكارى ستار الخفاء والنسيان ، على ان ذلك الامر أمسى بعد خروجى من قصر الكونت باعثاً لدهشتى ومصدراً لتفكير طويل فى الايام التالية حتى حرت فى نفسي من امر هذا الشعور الغريب الذى لم استطع ان افهم كنهه.

بعد ذلك كنت اذهب احيانا الى القصر ومنذ ذلك العهد صرت أري فى كثير من الاوقات صورة ترتفع من اعماق خيالى تبدو أولا كالطيف ثم تتجسم شيئا فشيئا وتتشكل وتظهر صورة كاملة تقترب منى قليلا قليلا وتشع على بضيائها فتنير ظلمات نفسى وتقف ماثلة أمامى ساعة تبهرنى بانوارها تستملك فيها على لبى وتخلب فؤادى

عرفت اخيرا أن تلك العاطفة الغريبة التى شعرت بها منذ بضعة اسابيع هى الحب وأن هذه الصورة هى صورته . .



# عيد الميلاد

كنت فى زيارة الكونت فى يوم من أواخر شهر ديسمبر فعرض على قضاء فترة عيد الميلاد مع اسرته في قرية ثارن وهى لاتبعد كثيرا عن باريس حيث يملك الكونت ضياعا واراضى واسعة وحيث تشتهر هذه القرية بمناظرها الجميلة وجبالها الشامخة التي تتوجها تيجان بيضاء من الثلوج والجليد .

حسبت هذه الدعوة هبة جزيلة ساقتها لى يد الاقدار وما كنت أحلم بها من قبل فهى فرصة عديمة النظير سأستطيع فيها أن اجد لوسى بجانبي فى كل وقت ، سيضمنا جدار واحد ومائدة واحدة ، سنجلس ونتحادث ، سنبتسم ونتسامر ، سأكون أو سنكون سعيدين بأنفسنا حقا انه حلم وسوف يكون تأويله قريبا

وفي اليوم الثانى من شهر يناير كان القطار يقلنا جميعا الى قرية الكونت وبينما كان الكونت مع قرينته يطلعان على الصحف اليومية وقد نشبت بينهما مناقشة حادة اشأن من

الشئون السياسية، كنت انا ولوسى نطل من احدى نوافذ القاطرة نستعرض مناظر الطبيعة الخلابة ونسبح مع امواجها فى بحرها الخضم الشاسع الاطراف وكذلك قضينا ساعة من الزمان تفاءلت بها خيراً بهناءة الأيام المقبلة

وصلنا حوالى الظهر الى المحطة فاقلتنا منها سيارتان ركب فى اولاهما الكونت وقرينته وابنتهما الصغرى ، واما الثانية فقد اقلتنا انا ولوسى واخيها شارل، وبعد نحو نصف ساعة وصلنا قصر الكونت وهو بناء شامخ جميل يشرف على ربوة تتدرج فوق الجبل اكثر من مائة متر وتلتف حوله حديقة كبيرة فيها انواع الاشجار والنباتات المختلفة

وما نزلنا بالقصر حتى اتخذ كل منا حجرته ، وكانت حجر الكونت وقرينته فى الطبقة العليا ، اما حجرتى وحجر ابنائه فكانت فى الطبقة الاولى وكان لدينا فى نفس الطبقة حجرة كبيرة للمطالعة بها مكتبة فيها كثير من الكتب والمجلات والمؤلفات كما كان بجانبها حجرة اخرى للموسيقى فيها كثير من آلات العزف والطرب وهى التى ابتهجت لوجودها اكثر من اى شئ آخر

امضينا بعد وصولنا يومين ونحن ننتقل بين حجرة المطالعة

الى حجرة الموسيقى الى فناء الحديقة الى التجول فى داخل القرية الى غير ذلك من الجهات المجاورة مما لا يتعدى النواحى القريبة جداً — ولما كان مساء اليوم الثالث جاءنى شارل وقال :

هل تحب أن ترافقنا ؟

الى أين ؟

لقد عزمت أنا ولوسى على الطواف طول نهار الغد بين الجبال المجاورة وسترافقنا معدات الصيد والقنص ومنها الكلب الأمين « بوبى »

حسن . هذه فكرة جميلة وانى سأكون سعيداً جداً بمرافقتكما

أذن فيجب أن تستيقظ مبكراً

هو كذلك

وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى كنا جميعاً شارل ولوسى وأنا على تمام الاهبة وقد ارتدينا الملابس الخاصة برحلتنا وحمل كل منا عصا حديديه مدببة الطرف لتسلق الجبال ثم بندقية للصيد مع كمية من الذخيرة وكذلك فعلت لوسى لانها كانت تجيد الرمى بالرصاص كما حمل كل منا أنا وشارل حقيبة صغيرة فيها بعض

الاطعمة اللازمة لنا .

كان ضياء النهار لايزال ضئيلا لأن شمس الشتاء لم تكن تبزغ بعد وكانت اسلاب الليل البائد لاتزال تتقشا كس مع أنوار الفجر النابت فرأينا في تلك الساعة فرصة جميلة للاسراع باستقبال ملك النور من أعلى رابية نصلها حتى نمتع الطرف بمشاهد تلك المعركة المسليه بين فلول الجيش الاسود المخزول وبين طلائع الجيش الابيض المنتصر

مددنا الخطا وأخذنا نفرس سفح الجبل بعصينا وكنا في الحقيقة لم نكن نستطيع أن نلثم الارض باطرافها المدببة أكثر من عشرين أو خمس وعشرين مرة دفعة واحدة أي بمقدار عشرين مترا تقريبا ثم نقف لنستريح بعدها قليلا، ولقد عانينا من الجهد في هذا التسلق الشيء الكثير حتى تصبب منا العرق رغم برودة الجو العظيمة ، وكانت وعورة الطريق وكثرة انعطافها وتعاريجها عاملا على زيادة عنائنا وخصوصاً كلما اعترضنا بعض الحشائش الكثيفه التي كانت تضطرنا غالباً الى تحويل طريقنا في تجاه آخر على انه مع ذلك كانت عملية الصعود هذه مع صعوبتها ممزوجة بشيء من اللذة ، اذ كان يخففها عنا تلك المناظر التي

تستجمع الالب وتسلب الفؤاد ، مناظر الجبال المتدرجة من قمة السماء الى حضيض الثري مناظر تلك الاشجار والادغال المتناثرة بين الصخور والاطواد مناظر الطيور المغردة المهاجرة من اوكارها في الصباح الباكر تشجي الملائكة بنغماتها وتسبح باسم خالقها الكريم ثم مناظر تلك الاضواء البيضاء الممتزجة بذلك اللون الارجواني الذي يوقظ القلوب من مراقدها والنفوس من ثباتها يذكرها بسابق الغرام وسالف الحب .

استمر بنا السير حتى بلغنا رابية مسطحة مكسوة بالخضرة والحشائش السندسية ، فالقينا عليها عصا التسيار ووجهنا وجوهنا شطر الصباح نستقبل ملكة البهاء وحلية الأفق عندما تميد الى العالم بهجته وتمسح عن السكون سنة غفلته ، وما مر قليل من الزمن حتى رشقتنا بماسة من ماساتها المتلالئة فاهتزت لها القلوب طربا وسرورا ثم تبعتها بلآلئها اللامعة المضيئة واحدة بعد واحدة فكونت من ذلك عقداً طويلا وتبعت ذلك العقد بعقود أخر حتى أتمت ترصيع جيد السماء بخيوطها الماسية البيضاء وما انقضت بضع دقائق حتى اتمت نسجها وملأت السكون باشعتها بين البهاء والجلال

عزمنا بعد ذلك على مباشرة أعمال الصيد فرفعنا البنادق بين أيدينا وتقدمنا « بوبي » وقد شمخ برأسه وأذنيه علامة أهبته واستعداده ولما كنا لازلنا في باكورة النهار ، وكانت هذه فرصة ملائمة لمباغتة كثير من اسراب الطير المتنقلة من اوكارها فوق سفوح الجبال، ولاحظنا مرور بعض وحدات من الطير آتية من الجهة الغربية ، لذلك ولينا وجوهنا نحو الغرب وأخذنا نتحين الفرص بفروغ صبر ولم يطل بنا السير حتى سمعنا فوق رءوسنا أصواتاً كثيرة وخشخشة خفيفة ولكن الضباب المنتشر اذ ذاك عاقنا قليلاً عن البت في الأمر الا أن الاصوات استمرت تزداد وضوحاً كأنها كانت تقترب منا ولما تبيناها وجدنا أنها سرب كبير من الطير المسمى « البجع » فسددنا اليه نحن الثلاثة المرمى ثم دوي الجو بطلقات البنادق فخر كثير من ذلك السرب الذي جد في الطيران فلم نحاول مطاردته بعد ، وبينما كنا نحشو بنادقنا بطلقات جديدة كان « بوبي » يجمع الغنائم من ساحة القتال ويضعها جميعها في مكان واحد فلما احصيناها وجدناها تربو على العشرين واحدة ، وهنا عرضت لنا صعوبة وهي كيف نحمل هذه الطيور جميعها فاننا اذ تركناها تكون صفقة خاسرة . لذلك أشار شارل

الى « بوبى » ليعود الى القصر ويحضر معه خادمين أو ثلاثة وما كان اسرعه الى فهم المقصود وتسهيلا لمهمته ربطنا فى رقبته ورقة تشير الى غرضنا

تركنا البجع فى مكانه بعد أن اوثقناه كله بحبل واحد وحولنا اتجاهنا الى الناحية المضاده وأخذ الطريق تزداد صعوبة لكثرة الاحراش والكتل الصخرية الضخمة فى تلك الجهة واذ كنا نتقدم في السير والحديث على ما حولنا يتبعنا من مكان الى آخر هب علينا نسيم بارد جمدت له شفا هنا فامتعضنا منه جميعا واوجسنا خيفة انقلاب حالة الجو ونحن فى هذا المنقطع فنشرت هذه الفكرة سحائب الحزن على وجه لوسى وحاولت ان اسرى عنها قليلا ولكن الخوف كان قد تملكها ولم يلهنا عن التفكير فى هذه المسألة غير سماعنا اصوات بعض الحيوانات على قرب منا فعلمنا ان ثوران العاصفة قد أهاجها من أماكنها فأشرت على رفاقى بالاستعداد لمنازلة العدو الجديد وبدأنا نسير بحيطة وحذر خوف أن يداهمنا بعض الحيوانات من حيث لاندري فتكون العاقبة أشد سوءا وحينما كنا نقترب من احدى الصخور شعرنا بصوت أقدام فتيقنا أنه لابد أن يكون صوت اقدام حيوان مختبيء الا اننا نظرنا حولنا

فلم نحاسبها فاهملنا المسألة ، ثم مضينا في مسيرنا ، غير ان لوسي توقفت قليلا لتصلح رباط حذائها الذي انحل وبينما كنت أتحدث مع شارل في أمر هذه الجبال اذ سمعنا خلفنا طلقا ناريا يدوي في الفضاء فتحققنا أنه من بندقية لوسي فاسرعت نحو الدخان المتصاعد من جانب الصخور وما اقتربت منه حتى رأيت فتاة مزاهلة تتقهقر امام حيوان مفترس ضاري تسيل منه الدماء ويتحفز للوثوب على عدوه وقد كشر عن انيابه وأطلق الشرر من عينيه ، وهنالم أمهل لحظة بل اسمعته رصاصات بندقيتي وحسن الحظ أصابته في رأسه فأضعفت من قواه وجبروته وارتد الى الوراء وكان شارل قد أطلق فأجهز عليه بطلقات غدارته واما أنا فعدت الى لوسي التي ملأ الرعب قلبها وما لبثت ان سقطت على الارض خائرة القوى فجلست اليها أدلك لها يديها اللتين تجمدتا تقريبا ولما استعادت رشدها سألتها عن الخبر فقالت

بينما كنت اصلح رباط حذائي واذا بذلك الفهد مقبل علي يريد اغتيالي فما كان مني الا أن أفرغت فيه خرطوشي بندقيتي ولكنهما لم يكفيا للقضاء على هذا الحيوان المعتدي الذي صمم على الفتك بي ولما لم يكن لدي وقت لحشو البندقية بطلقات اخرى فاني أيقنت بالموت

وتقهقرت واردت الفرار الذى لم يكن ليجدينى نفعا بالطبع حتى أتيت الى ياورولاند فكان على يديك نجاتى من هذا الموت المحقق فشكراً لك ياصديقى العزيز فذلك شيء لن أنساه لك طول الحياة»

عفوا يالوسى فانى ما فعلت غير الواجب .

أقبل علينا شارل بعد ان قضى على الفهد وكانت الرياح قد هدأت والجو قد اعتدل فاشار علينا بالذهاب الى مكان البجع فنستريح هناك الى أن يعود «بوبى» والخادم ولكن عز على ان نترك الفهد فى مكانه ولم نستفد منه بما يساوى جزءا ضئيلا مما حدثنا من العناء فاقترحت أن نسلخ جلده ونقدمه لوسى ليكون موطئا لاقدامها فى غرفة نومها تذكارا لهذا الحادث المروع ، وفى الحال انفذنا الفكرة وانتهينا من عملية السلخ حوالى الساعة الثانية عشرة تماما ثم استأنفنا طريقنا الى البجع فبلغناه بعد قليل وكان قد وصل فى الوقت نفسه الخادم وبوبى . وآن وقت الغداء فهيأنا الطعام ثم اشتهت انفسنا بعض هذا الطير فأعددنا منه شواء لذيذا وبعد أن انتهينا من الطعام أبقينا معنا احد الخدم وارسلنا رفيقيه مع جلد الفهد وبقية الطير الى القصر ثم اخذتنا سنة من النوم فنمنا قليلا فوق الخضرة واستيقظنا فوجدنا «بوبى» والخادم فى حراستنا

ورأينا قبل أن نعود الى القرية ان نجول جولة قصيرة فوق سفح الجبل لنستنشق نسيم المساء العليل فاشار علينا التابع الذى معنا بالانتقال الي سفح الجبل المجاور الذي يصله بالسفح الذى نحن فوقه جسر صغير من الخشب ، وهو اكثر جمالا وابهى جلالا فتبعنا نصيحة الخادم وكان اجمل ما رايناه ذلك المجرى الذي ينحدر تحت هذا الجسر وقد ازدهت مياهه باللون الذهبي البديع الذى اعاره اياها ضياء الشمس الناريه

لقد مثلت الطبيعة فى هذا المكان بستانا باهرا آيه من حسن الذوق وجمال التنسيق ما يحتذى به فلقد بهرتنا تلك المشاهد البديعة التى وجدناها تحاطنا من كل جانب حتى لقد بدت على وجوهنا أزمة غريبة مختلطة من الاعجاب والدهشة والسرور والغرابة وعز علينا أن نحرم من التمتع بهذا الجمال الفتان فجلسنا برهة نمتع الطرف بما حولنا ويظهر أن الطبيعة حسدتنا وحقدت علينا فأبت الا ان تعكر علينا هدوءنا وتعبث بأوقات هنائنا فاثارت علينا ريحا صرصرا عصفت له الزوابع وقصفت الرعود وانقلب الجو ظهرا على عقب وكانت طلائع الظلام قد اقبلت فخفنا ان يمسى بنا الوقت فى هذا الجو الملبد بالغيوم فنضل الطريق او ينالنا أذى فهممنا بالعودة الى

القرية ولكن السحب لم تمهلنا الا برهة وجيزة ثم سكبت دموعها مدرارا فاخذنا نعدو في سيرنا لعلنا نقصر من زمن شدتها وكان يتقدمنا « بوبي » فشارل فلوسي فانا ثم التابع الذي كان معنا وما بلغنا الجسر حتى كنت تسمع لصوت المرور فوقه رنينا شجيا كما كنت تسمع لصوت سقوط الامطار على خشبه أزيزا غريبا ، ولكن يا للهول فلقد اشتد هذا الرنين وعلا هذا الازيز عند مرور لوسي من عليه وتبع وطء اقدامها فرقعة هائلة انخلع لها قلبي وكادت تنتزعه من بين جنبي ؛ ثم سمعت صراخا مؤلما كان هو صراخها فقد اقتلعت العاصفة الجسر من طرفه الآخر وصار معلقا من طرف واحد نخرت من فوقه لوسي وهوت الى قاع الهوة التي في اسفل الجبل حيث يجرى النهر الصغير فاشتد انينها وعلا صراخها فخرت في اهوى لحظة ما كان امرها علي ، ولكن الكلب الأمين الذي عاد على اثر الصراخ قد مهد لي سبيل حل تلك العقدة التي كنت اعالجها اذ ذاك فقد رأيته يلقي بنفسه من اعلى السفح في اتجاه لوسي فتبعته انا ايضا وحذوت حذوه فألقيت بنفسي في نفس الاتجاه

القيت بنفسي ولم أكن أدري ماذا يكون مصيري ولا أعلم

كيف فعلت ذلك ولكن العاطفة التى كانت تسرى فى قلبى فى ذلك الحين كانت تدفعنى الى عمل شيء لانقاذ لوسي من مخالب الهلاك وما كان هذا العمل الا السقوط وراءها فاما نجينا معاً واما كانت نهايتنا واحدة ، ولكنى مع ذلك كنت ارجح هلاكى قبل نجاتى وخصوصاً لو صادفتنى بعض الصخور التى لامحالة تهشم عظامى على انه لحسن الحظ سقطنا فى وسط المجرى فوق بعض الحشائش النابتة فساعدتنى هذه على تخفيف وطأة سقطتى ورغم ذلك فأنه لشدة العلو الذى هبطت منه والذى يقرب من مائة قدم فانى لاقيت صعوبة هائلة حتى استطعت ان استقيم فى سباحتى وما كدت ادير رأسى الغاطسة تحت الماء حتى لمحت لوسى تكافح الامواج المتلاطمة وهي تتخبط بينها والكلب الامين يعاونها على رفع رأسها فوق سطح الماء فأسرعت فى سباحتى وكانت على بعد خمسة امتار منى فلحقت بها ومددت نحوها ذراعى ولما رأتنى هدأت من صراخها ثم ابتسمت ابتسامة فاترة لم تلبث ان تلاشت بين طيات ملامحها من الفزع والهول وبعد نحو عشرة دقائق كنت وصلت بها الى الشاطيء وبوبى يتبعنا وكذلك نجينا معاً ولكن العجلة كان قد انهكتنا فدارت برأسى الارض واما لوسى فقد غابت

عن الوجود فحاولت افاقتها وباشرت لها عمل تنفس صناعي بقدر مااستطعت حتى ثابت الى رشدها وعندئذ نظرت الي وقالت :

« كم انت تحبينني يارولاند ، لقد احييتني مرتين في يوم واحد وما املك لنفسي غير حياة واحدة فهما ضحيت فأنى لي ان استطيع ان اكافئك على ماقدمت الى فلست قائلة لك غير كلمتي الاولى وهي شكرا لك ياصديقي ثم أعترف لك بعد ذلك بعجزي التام

كلا انك تبالغين في قيمة عملي يالوسي ، واني لا استحق كل هذا منك ولايهمني الا أن اراك سعيدة بحياتك بعيدة عن كل سوء وشر فاذا بلغت هذه الامنية فكفاني ذلك من الدهر نعمة جزيلة

وما بلغت من حديثي الى هذا الحد حتى سمعت شارل يصرخ من أعلى السفح « لوسي - رولاند . . . » فرددت على ندائه أن نحن هنا — نحن هنا . . نحن هنا . . .

ودام سقوط الامطار أكثر من ساعة ثم بدأ يخف قليلا قليلا حتى صار رذاذاً خفيفا فأخذت أفكر كيف الطريق الى الصعود الى سفح الجبل وهو أمر عسير علينا جداً في هذا المكان اذ كان الانحدار اقرب الى العمودية منه الى الميل ، لذلك فكرت ان نسير قليلا بجانب شاطىء المجرى لعلنا نجد منحدراً

في الجبل نستطيع الصعود منه . على ان هذه العملية قد تستغرق
منا ساعة ومثلها ساعة اخرى حتى نصعد الى سفح الجبل فيكون
قد امسى بنا الليل ولبس الافق ثوب الظلام فيتعذر علينا وحدنا
الوصول الى القرية . لذلك خطر لي أن أرسل شارل الى القصر
ليأتي الينا بنجدة من هناك لنأمن على سلامتنا . وكذلك فعل شارل
وأما انا ولوسي فقد أخذنا نسير بجانب المجرى والكلاب يتبعنا
يبحث عن منفذ لخلاصنا ومضى على مسيرنا أكثر من ثلث
ساعة حتى يئسنا من النجاة وأخيراً رأينا السفح قد تحول تجاه
الشرق وأخذ يتدرج صاعداً الى أعلى فلمعت في عيوننا أشعة البهجة
والفرح ولكن أسقط في ايدينا لما وجدنا اننا قد فقدنا عصينا
الحديدية ولما اعيتنا الحيل استعضنا عنها بأغصان بعض الاشجار
المتينة النابتة بجوار شاطيء المجرى وبغاية الجهد والمشقة تمكنا من
تسلق الجبل والعودة مرة اخرى الى اعلى سفحه حيث جلسنا
ننتظر شارل تجاه الجسر المحطم وامامنا الخادم المسكين في السفح
الآخر من الجبل المجاور

ولما كان باقياً على عودة شارل اكثر من ساعة وهي مدة طويلة
مملة وخصوصاً على لوسي فقد بدأت أفكر كيف أمضي معها

هذا الوقت الطويل وكيف أسوى عنها هم ماأنالنا من العناء واذا بي حائر في تفكيرى قالت : اني اشعر بتعب شديد وبى حاجة الى النوم فكانت فكرة النوم أحسن حل راقني فوافقتها في الحال على ما طلبت ومهدت لها مرقداً فوق الحشائش واستأذنتها ان اجعل ركبتى عنابةوسادة لها ثم اسبلت عينيها وغرقت في سبات عميق

في تلك الساعة اغمضت جفني انا كذلك وصرت افكر في اللذة التى انا فيها فها صديقتى لوسي ، التى كنت اعد وجودى قربها حلما من الاحلام اراها بجانبي ورأسها فوق ركبتى وقد سكنت تحت حمايتى أنفاسها تلتقي بأنفاسى ودقات قلبها تردها دقات قلبي ، وهاهى قد اصبحت تحمل لى في قلبها اثراً حسناً قلما تبليه الايام وذلك بفضل الاعمال الباهرة التي هيأتها لى الظروف اليوم ، أجل فتلك بشائر الظفر بغرامها وحوزة قلبها

وبينما كنت غارقا في بحار تصوراتى وخيالى اذ سمعت ضجة اصوات متعددة تتقدم نحونا ويضىء في اتجاهها نور ضئيل فايقظت لوسى من رقادها وبشرتها بوصول النجدة وقرب السلامة ثم سمعت صوت شارل ينادينى فأجبت نداءه وما كان أشد دهشته عند ما رأينا مرة ثانية فوق السفح وأخذنا نتعانق جميعا بشوق

وسروراوكان من بين القادمين مع شارل ابوه الكونت فالتفت نحوي واغدق على كثيراً من عبارات الحمد والثناء فشكرت له حسن عواطفه وتمنياته .

وأخيراً عدنا نفكر في أمر التابع الذي كان يرافقنا والذي لا يزال باقيا في مكانه من سفح الجبل المقابل وبعد تفكير قصير اقترحت أن نقذف اليه عصا متينة يثبتها في جانب السفح الذي هو فوقه ونلقي اليه بحبل يربطه من طرفه في العصا الثبتة ثم نركز نحن الطرف الآخر من جهتنا ويتعلق هو بالحبل ويسير بيديه هذه القنطرة الجديدة وفي الحقيقة لم نجد حلا أسهل ولا اسرع واحسن من هذا الحل وفي الحال نفذناه ونجحنا في مهمتنا فحمدنا الله وعدنا جميعا الى القصر وكان الكونت قد اعد لنا سيارة في مبدأ الطريق المنتظمة من الجبل فخفف ذلك عنا نصف الذي كنا سنكابده في عودتنا .

وصلنا الى القصر فرأيت مدام دارتوى تستقبلنا على باب الحديقة ومارأت لوسى حتي ضمتها اليها ثم ادارت وجهها نحوى وقدمت الى مزيد عطفها وثنائها .

وبعد أن وصلنا الى القصر وأبدلنا ملابسنا بغيرها ثم أسترحنا

قليلا بدأ الكونت يستفهم مني عما حدث فأخذت اقص عليه ما جرى وهو يدهش ويعجب المخاطرات الهائلة التي كابدناها في ذلك اليوم ومكثنا كذلك حتى دعانا الخادم الى طعام العشاء ، على أن لوسي اعتذرت عن تناول شيء ما غير قليل من اللبن لانها كانت تشعر بحرارة غير عادية في جسمها فخافت أن يسبب لها الطعام ضررا وقد وافقناها على رأيها ، واشرت عليها بتناول بعض العقاقير الطبية مؤقتاً حتى اذا لم يزل اثر هذه الحرارة في الصباح تعرض نفسها اذ ذاك على الطبيب

لم امكث طويلا بعد تناول العشاء حتى قصدت مرقدي واسلمت نفسي الى سلطان النوم اذ كان عناء اليوم الماضي قد بدأ يحل بجسمي

— ٥ —

# في باريس

انقضى الليل وأصبح اليوم التالى فسألت عن لوسى فوجدت أنها ملازمة الفراش وأن الكونت أرسل فى دعوة الطبيب لسبب ارتفاع درجة حرارتها عن أمس فاستأذنت فى الدخول عليها فأجابت رغبتى فاستفسرتها عن حالتها وتمنيت لها خيراً ثم أردت الخروج فسألتنى أن أجلس معها أحدثها قليلا لانها تشعر بالوحدة ، ولا أكذبك القول أيها القارىء الكريم انى أحسست وقتئذ كأن تياراً كهربائياً قد سرى في جسدى ، فلقد رأيت فى عينيها رموزاً لم أكن أراها من قبل فها هى تطلب الى البقاء معها وها هي تشعر بحاجتها الى حديثي . لقد كان شعورى اذ ذاك مختلطا من السرور والالم والفرح والدهشة فكان شعوراً غريبا لا أدرى كيف أصوره .

جلست الى مقعد بجانب فراشها وقد رأيت من الاوفق

أولا أن أشد من عزيمتها وان أهون عليها أمر مرضها ثم انتقلنا الى الحديث فى بعض الشئون العامة وفى أثناء ذلك حضر الطبيب وبعد ان فحصها جيداً رأيت على وجهه علامة الاسى والحيرة ثم تقدم نحو الباب وخرج من الغرفة فتبعته أنا والكونت وشارل ولما وقفنا قال :

انها مصابة بحمى أثر برد شديد تعرضت اليه وهذا النوع من الحمى يطول أجله غالباً ويحتاج الى عناية تامة ولذا أشير عليكم بنقلها اليوم قبل ان يشتد بها المرض الى مستشفى باريس حيث به من الوقاية والاعتناء ما يكفل للمريض سلامته من أخطر الأعراض

عندئذ قرر الكونت الانتقال الى باريس فى الحال ولم تمض ثلاث ساعات حتى كنا جميعا هناك بالمستشفى فقضينا برهة مع لوسى ثم استودعناها رعاية الله وقبل ان أترك الغرفة وكنت آخر من خرج منها التفت الى لوسى وأعدت عليها السلام فابتسمت ثم قالت :

لاتنسى يا رولاند زيارتى فسيكون فيها تخفيف لكثير من آلامى فانحنيت لها وأبديت عظيم تمنياتى فى شفائها القريب ولم

أستطيع ان أطيل الوقوف بعد لأن الدموع كانت تترقرق بين
اجفني فودعتها وخرجت بسرعة والعبرات تسيل من عيني والقلب
يشتعل احتراقا .

آه ، ما كنت أتألم واذا كنت أحب وكذلك فالحب والالم
شقيقان بل هما توأمان متشابهان أينما وجد الأول وجد الثاني
الاول منبع اللذة والثاني منبع الرحمة فاذا امتزجا هذان العنصران
كونا رحيق العظمة وسمو العواطف ونبلها ، وقد يكون الألم
أصل الحب لأنك تتألم فترحم فتحب او قد يكون الحب أصل
الألم لأنك تحب فتخلص فتتألم ، كذلك كان الحب والالم شيئين
مفرغين في بعضهما فلا اعرف أيهما الاصل وأيهما الفرع بل
أنك لا تستطيع ان تفصل بينهما فهما شيئان منسكبان في بعضهما
ممزوجان مزج الماء بالخمر .

بعد ان خرجت من المستشفى عدت الى منزلي بعد ان
تغيبت عنه بضعة أيام وبعد ان انقضت عطلة عيد الميلاد استأنفت
دراستي في الجامعة وكنت أزور لوسى في المستشفى ثلاث او
أربع مرات في الاسبوع ولقد اشتد بها المرض القتال في ايامها
الاخيرة حتى لقد تجاهلت كل أهلها وأصدقائها فكنت اذا رأيتها

لاتتميزها من بين جسمها الناحل وغصنها الذابل فكان ضعفها هذا وسوء صحتها مصدراً لأعظم آلامي فلم يكن يمضي على يوم الا وأبكي من أجلها بكاء مراً الى ان تمصاني الدموع فأسكن الى فراشي واستسلم الى النوم

مضي على لوسي في المستشفى ثلاثة شهور طويلة حتى اعياها الضنى وهدها السقم ثم أمدها الله بروح من عنده فبدأت تتماثل الى الشفاء يوماً بعد يوم وقد زرتها مرة فقالت :

الا تراني الآن أحسن من ذي قبل ؟

حقاً ، هذا صحيح .

نعم يارولاند ، لقد من الله على بالشفاء بعد هذا العناء الطويل ولذا فقد نذرت ان أتطوع في خدمة مرضى هذا المستشفى شهراً كاملا بعد تمام شفائي مباشرة قرباناً لله وحسنة عند المولى .

ما أطيب قلبك يالوسي وما أقربك الى عمل الاحسان والخير ، ولكن ألا ترين ان تلك الخدمة منهكة للقوى وخصوصاً بعد مرض طويل ؟

قد يكون ذلك صحيحاً يا رولاند ولكني سأتحمله فوق ماتحملت لان الاطباء يشيرون على بالسفر الى بلاد الشرق لأقضى

هنالك مدة سأمضي معظمها في مصر ترويحاً للنفس وتجديداً لقواى وقد يمتد غيابي الى عام كامل او أكثر ولذلك فاني برأ بوعدى قد صممت اخيراً على ايفاء نذوري بعد شفائي مباشرة :

هذا رأي جميل — ولم ألفظ غير هذه العبارة لان أفكاري كانت تشتتت منذ اللحظة التي علمت فيها بعزمها على السفر وغيابها عاماً في بلاد الشرق حيث لا سبيل الى رؤياها طول هذا العهد المديد ، لقد شغلتني هذه الفكرة واخذت أصور في الآلام التي سأعانيها من وراء غيابها وانا الذي لم أكن أستطع الصبر يومين كاملين بدون زيارتها — حقاً لقد صعقت عند سماعي هذا الخبر ولكني رأيت من اللياقة ان أرجىء التفكير في هذا الامر موقتاً ثم استأنفت حديثي معها برهة واستأذنتها وخرجت وانا في حالة ارتباك شديد . . .

# ٦

# فى الشرق

انقضت الايام وحان موعد رحيل لوسى الى بلاد الشرق وقد وصلتنى منها بطاقة تنبئنى فيها بأن موعد سفرها سيكون في يوم ١٥ من الشهر الجارى فوضعت البطاقة امامى واخذت أفكر ماذا يكون مصير حبى لها بعد هذا الغياب الطويل .

( لقد صرت أحبها حباً هو فى الحقيقة لغز من ألغاز حياتى ما كنت اخافها ولا أفزع من رؤياها ولكنى ما رأيتها الا وارتعدت وخفق قلبي خفقاناً سريعاً ، وما لمست يدها الا وشعرت كأن سيالا كهربائياً قد سرى في عروقى ، لا أدري كيف ذلك ولكنى اعلم انه هو الحب الكمين فى فؤادى مصدر كل هذه الاعاجيب ) ومع ذلك فلم تتعد علاقتى بها طول هذه المدة دور الصداقة والود ولم احاول ان أقول لها فى يوم من الايام انى أحبها حباً هو غير صداقتنا ، فى حين انى كنت اقرأ فى عينيها وفى

حركاتها نفس ما اقرأه في نفسي وأشعر به ، وعلى العموم فسواء كنت مصيباً في نظري او مخطئاً فاني احبتها حباً لا حب فوقه فهي املي من الحياة وهي رجائي في هذا العالم وهي التي من اجلها خاطرت مراراً بحياتي :

فماذا يمنعني اذن من مفاتحتها في امر غرامي ؟ وماذا يؤخرني عن بثها شكاة قلبي ؟

هل اقف جامداً في مكاني ؟

هل تضعف شجاعتي امام خطابي لها في امر غرامي بها وانا الذي قذفت بنفسي من اعلى الجبل مخاطراً بحياتي من اجلها ؟ !

كلا ، يجب ان اتقدم اليها بقدم ثابت ونفس هادئة وا كشف لها عن غطاء ذلك القلب الذي اقام فيه الحب هيكلا ومعبدا .

وبينما كانت تساورني هذه الافكار رفعت بصري نحو الحائط فالتقى بصورة ابي الراحل فارتددت الى الوراء وتمتمت قائلا .

لا ، لا ، لا

لقد تذكرت أني لازلت فتى تعيسا شقيا ، لا املك شيئا من متاع هذا العالم غير نفسي فحسب ، ولقد فقدت أبي من قبل ففقدت معه كل ممين لدي في هذه الحياة وخرجت من بين يدي

الدهر شابا منكوبا معدما ، أقف فأندب سوء حظى شاكيا متألما من حيث لا تنفع الشكوى ولا يجدى الندم ، لا عزاء لى غير الأمل فى وجه الله ، ولا سلوى لى عن آلام نفسى غير سعادتى بالغرام ، كيف أصل حياة فتاة سعيدة بين ابويها بحياة فى مثلى لا يملك غير عبرة ساخنة يشيع بها الماضى الهنىء ودمعة حارة يسكبها أسى وحسرة على تلك السعادة البائدة التى كلما هبت على ريحها ومرت بى ذكراها أثارت فى قلبي لوعة لن تطفيء جذوتها المتقدة سيول العبرات والدموع ولكن سوف تكون عليها بردا وسلاما تلك القطرة التى لا يتلوها الا اغماض الجفون الى الابد

هل ابثها غرامى ووجدى ثم القيها بين احضان الحب وأنا لا أزال أجهل مستقبلى ولا ادرى هل به سعادة أو شقاء ، هل ادعوها الى مناصفة الكأس وأنا لا ازال لا استطيع أن أضمن كسب ما يكفل لنا هناءة حياة زوجية سعيدة ؟

وأنه لجرم ، أنه جنون وطيش

كلا كلا لا يغتفر بل وأثم عذابه مر يبقى لى داء عضالا عاملا على افناء حياتي ان أنا اوقعت فتاتى المحبوبة فى شرك غرامى

ثم سببت لها شقاء وتعاسة أبدية بعدمي وفقري .

انا حقيقة سنسعد بحبنا ونهنأ بغرامنا ولكن سنصير شقيين أيضا بقلة مالنا وهذا مايوجب ايلامنا وحزننا

أني وأن تحملت ذلك لانه امر طالما ذقته مرارا ولكني لا أطيقه ولا أرتضيه لحبيبتي ، بل أني لا أقوي على رؤيا لوسي تتألم وتحزن وهي بجانبي ثم أشعر في الوقت نفسه أني أنا الذي سببت لها هذه الآلام والاحزان ! انها افظاعة ووحشية ، هل اختطفها من بين احضان سعادة أبويها واقذفها بين مهاوي العوز والفقر لأني أحبها وقلبي دنف بها ؟ لا ، أنها القسوة ، أنه الظلم أنه الحب يعمي ويصم ، فالله احمدك وأشكرك أن ارشدتني الى الطريق الصواب وأني اسألك يا ألهي أن تلهمني الصبر وتخفف عني الألم

وما دام لم يعد أمامي من دراستي غير اليسير فلأصبر تلك البقية أيضا ولأرى ماذا يكون المآل وكيف يكون المستقبل حتى اذا أمنت أرزاء الشقاء وعوادي الدهر تقدمت بنفس مطمئنة وقلب ثابت وقلت غير متردد ولا خائف أني أحبك يالوسي ، أني قد اوقفت عليك حياتي فبيديك شقائي أو نعيمي .

طويت بطاقة لوسى ولما لم يكن يبقى عن موعد سفرها غير يوم واحد فأني قد عزمت على زيارتها فى نفس اليوم ثم أودعها اخيرا في ساعة رحيلها فى المحطة ، وفى الساعة الخامسة ركبت عربة من منزلى الى قصر الكونت وارسلت بطاقتى اليها فاستقبلتنى فى فناء الحديقة فحييتها ثم جلسنا الى مقعد وأخذنا نتحادث عن الشرق وأهله ومصر وعجائبها ، اهرامها وآثارها ، مجدها السالف وعزها التالد ، كنت احدثها وكان قلبي مشطورا الى شطرين بين عامل اسى وعامل سرور ، الاول لفراقها والثانى لرؤياي لها .

استمرت تقص على برنامج رحلتها وانا صامت صاغ لا احول بصرى عنها وقد خيل الى ان اركع تحت قدميها اناجيها بما يكنه لها قلبي ويكتمه فؤادى ولكنى تذكرت ذلك العهد الذى قطعته على نفسى فى الصباح فتجلدت وتناسيت آلام نفسى حتى انصرفت من عندها على ان اراها غدا في المحطة ، وعند منتصف الرابعة تماما من اليوم التالى كنت اراها تلوح بمنديلها الابيض من نافذة القاطرة المبتعدة حتى توارت عن الانظار فشيعتها بدمعة حارة سقطت على خدى تتبعها حرة مرة كادت تفتت كبدى ...

# ٧

## المناجاة

عدت من المحطة وقد ظننت أنى تزودت من رؤيا لوسى بمؤونة حسبتها تكفينى أياما طويلة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، ولكن ما عتمت أن فرغت جعبة زادى وصارت بذور الشوق والوجد تنمو سريعا فى قلبى يوما بعد يوم فأصبحت أفكر في ذلك المستقبل الطويل ، فى الشهور العديدة التى قد تمضى ولا استطيع رؤيا صديقتى فيها !

لقد ساءت حالى وأخذ التفكير منى مأخذه ونال منى مناله لقد تألمت وتألمت كثيرا جدا .

آه ما أظلمك أيها الحب فكما بك من حلاوة فأن فيك مرارة وكما تمنح من سعادة فأنك كذلك تبلى بالشقاء :

لقد أصبحت الساعات اطول منها فى كل يوم كما اصبحت لا تمر دقيقة حتى أهتف باسمها فى قلبى وأردده بين حنايا فؤادي

ترديداً محزناً مؤثراً ولا يحل المساء حتى أناجيها نجاء أخال أن النسيم يتلوه معي والرياح تشدوه مثلي حتى اذا ما أنهكني الجهد آويت الى غرفتي منفرداً حزيناً .

آه ، أين انت يالوسي الآن ؟ هل أنت تسيرين الهوينا بين الرياض والحدائق تخزى الورد بحمرة خديك وتخجلي النرجس بسواد عينيك أم هل أنت تقتطفي الازهار تلثميها بثغرك الجميل وتلقنيها لغة غرامك او تستقي منها رحيق الحب ؟ :

أين أنت الآن هل أنت سائرة على تلك الشواطىء الضحلة تنظري الامواج المائية وهي تشمخ بعظمتها عجبا وقوة حتى اذا رأتك أخذت تتهادى نحوك وتتقدم اليك الى أن تتلاشى عند قدميك ؟ أم هل أنت متكئة الى وسائد الرمال الذهبية مسترسلة في عالم الخيال تشيدي قصور السعادة والهناء ؟ ام هل أنت تنظرين الى الشمس الغاربة تمديها من وجنتيك بلونها الأحمر الفتان الذي يكسبها ثوب البهاء والجمال تزنين الى القمر تزوديه بانوارك الساطعة وأضوائك المنيرة ؟ أم هل أنت تسمعين نغمات الطيور المغردة وهي تشدو بجمالك وتتغنى بحسنك :

أين انت ياحبيبتي الآن ؟ هل أنت بين فراشك حيث اقمت للطهر

معبداً وللعفاف هيكلا أوقفت عليه روحي وحياتي . أم هل انت بين كتبك تستزيدين علما وحكمة وانت في فيض من الحكمة الالهية ؟ . . .

هل تذكرين ساعات قضيناها مما وقد عقد الحب الكامن شفاهنا فأنسانا كل شيء حتى الكلام فكانت نظراتنا وابتساماتنا هي حديثنا الناطق الشهيد على اقوال قلوبنا وافئدتنا، هل تذكرين تلك الايام يالوسى ام هل انستك هيبة النيل وعظمة مصر الخالدة كل شيء ؟ :

اين انت يالوسى اتراك ساهرة في سكينة الليل توسلين انفاسك مع النسيم العليل ليعطر بها ارجاء الجو ام تراك تتأملين رسم فتاك على صفحة الخيال ؟ ذاك رسم لم يعد كما تعهدين او تعرفين فلقد انحلته آلام الوجد والغرام وسحقه عذاب البعد والفراق .

هل تسمعين يالوسي صوتي الضعيف المتألم الذي ارسله اليك على جناح الاثير ؟ هل تقرأين شكواي التي اخطها على وجه البدر في كل مساء وعلى جبين الشمس في كل صباح ؟ اوهل تسمعين اصوات البكاء والنواح وهي ترددها الطيور والعصافير : او هل رأيت دموعي المتشعة بخاراً المتكاثفة سحبا في علياء السماء وهي

تخفي وجه الشمس عن احياء هذا الكون :

ايه حبيبتي : ألست سامعة من وراء هذه المسافات الشاسعة التي تفرق بيننا ندائي ونحيبي ، وناظرة ضعفي وسقمي : او ليس من تموجات هذا الاثير سلكا كهربائيا ينقل اليك مواجعي واحزاني

اين انت ياحياتي الآن : ابتهجي وانتعشي فأنتعش لسعادتك واحيا لاجلك ، صلي من اجلي فأبرأ من اسقامي ، ابتسمي ثم ارسلي قبلة حارة على جناح النسيم فتملأ قلبي بحرارة الحب وتبعث فيّ بقوة الغرام .

آه اين اراك واجدك الآن ياحياتي

آه ما اقواك ايها الحب وما اضعفني

***

ذلك بعض النجاء الذي كنت اردده في كثير من اوقاتي وما كانت كل كلمة منه غير سهم ينفذ الى سويداء قلبي فيثير لواعجه ويدمي اشجانه فلم يهنأ لي عيش طول هذا العهد فصرت فريسة لآلام هواجسي في اليقظة وغم لمباغتات احلامي في المنام ، ما كان يهدأ لي مضجع ولا فراش أرق في ساعات ليلي تفزعني تلك الانتفاضات

المروعة التي استفيق منها فأجدني وحيدا بين جدران غرفتي جالسا بين فراشي افكاري موجعة وقلبي سقيم ونفسي منفردة وعلى هذا المنوال أستمر في الحال لا اجد لي من عزاء اوسلوى غير الهموم والاحزان الى ان اقبلت الايام وعاد .....

اراك تواقا ايها القارىء الكريم الى ان تسألني عن حياتي في تلك الفترة التي قضتها لوسي بعيدة عني ، ولكن عذراً جميلا ان انا لم اكتب غير سطور قليلة لان صحيفة حياتي اذ ذاك هي صحيفة مؤلمة هي صورة جلية لحياة شخص بائس تعيس ، فلا ترى بين سطورها غير عبارات الاسى والحسرات ، هي صورة لحياة شخص اعتزل العالم فاصبح لا يرى فيه غير نفسه ولا يعرف غير شخصه تجاهل الناس جميعهم وانكرهم ولم يتعرف بواحد منهم غير شخص واحد فقط ، الا وهو عامل البريد ، رسول الغرام وحامل لواء السلام .

ولكن ماذا كان بتلك الرسائل التي كان يحملها ؟ انه لم يكن يميزها عن سواها غير انها كانت مسطورة بأنامل لوسي ومكتوبة بخط يدها هي رسائل صديقة لصديقها او صديق لصديقته ، ليس فيها غير اخبار مصر ووصف عجائبها وصحائف من تاريخها ، فيها

عجيد لنيلها وتشويق لرؤيا آثارها ؛ ذلك كل مابها وكله نعرفه بين الكتب وفي التاريخ : تلك هي رسائلنا في ذلك الحين وهي بعيدة عن عالم الغرام وسماء الحب فهي رسائل جافة بالنسبة لقلب ملتهب تحمى فيه حرارة الوجد

سافرت لوسى ولم تكن تدرى اى نار هي التي تتقد بفؤادى من جراء فراقها ! لقد احببتها حباً فى درجة العبادة ، حباً دونه الموت ومع ذلك فانى حتى تلك الساعة لم احدثها او أكتب اليها ولم تحدثنى او تكتب الى الا كما يتحدث الصديق لصديقه او يكتب الصاحب لصاحبه

سافرت لوسى الى مصر وفى القلب أنة وبالعين دمعة ، أسبلتها ساعة ان ألقيت عليها آخر نظرة والقطار يبتعد عن باريس نحو الجنوب

هل أراها مرة اخري ؟ وهل ألتقى بها بعد اليوم ؟

سؤال هو فى الحقيقة جوابه في عالم الغيب !

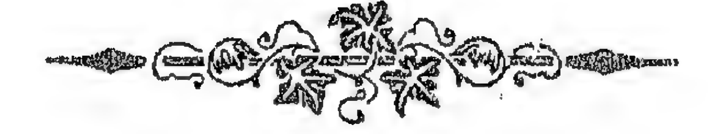
على ان الايام شاءت ان تجيبنى ولكن بعد مرور شهور طويلة فقد عادت لوسى الى الوطن المحبوب وها انا اراها بعد غياب اكثر من عام ونصف !!

عادت اوسى فزالت برؤياها آلامى ونسيت عنائي!

عادت اوسى فها هو قلبي يستقبلها بالبهجة والسرور!

عادت اوسى وهاهى نفسى تحدثنى ان ابدأ معها حياة جديدة!

عادت اوسى فلترى ما دبرته الحوادث بيننا فى الايام المقبلة ..؟؟



# ٨

## النجاح

عدت الى منزلي في يوم من أواخر شهر اكتوبر وانا ممتلئ سرورا وارتياحا فلقد انتهيت من تأدية امتحاني النهائي واصبح طريقي لابواب الحياة العملية قاب قوسين أو أدني فجلست الى مقعد في الشرفة المطلة من حجرة نومي وكان الليل قد أرخي ثوبه الأسود الذي أخذ يبيض قليلا قليلا بين ضياء الهلال المشرق فأثار في نفسي هدوء الليل المهيب ذكرى الماضي فأخذت اراجع صفحاته وأعود بحوادثه الى سالف العهد فذكرت أيام طفولتي وكيف قطعت المرحلة الأولى من دراستي بمدرستها الصغيرة ثم كيف انتقلت الى جامعة باريس وكيف زرت اسرة الكونت داوتوي لاول مرة وكيف رافقتهم الى قرية فارن في عيد الميلاد وهنا ذكرت حوادث رحلتنا الجبلية وكيف مرضت بعدها لوسي بتلك الحمى القتالة ثم انها قضت عاما بعد شفائها بمصر وكيف تألمت في غيابها

تلك الآلام المرة وكيف اعتزمت مرارا مفاتحتها بسر قلبي وكيف اني ترددت ولم أتخذ من قوة الغرام مشجعا لى وعونا على فتح قلبها وحوزة فؤادها — ثم ذكرت كيف أني صبرت على آلام الحب طول هذه السنين الطويلة حتى بلغت امنيتى من الحياة الدراسية ولم أعدأهم للعوز أو الفقر فلقد اتممت دراستى وثقتى في النجاح عظيمة فأن أسعدنى الحظ فأني سأجد اسمي بين اسماء الفائزين على صفحات الجرائد فى خلال أيام قلائل ٠ وبينما أنا كذلك أعود مع الماضى واطارد المستقبل غارق بين احلامي اللذيذة سابح مع أمانى الحسان غلبنى النوم فالتزمت فراشى وشملنى ثبات عميق

فى صباح اليوم الثالث لتلك الليلة استيقظت من نومى وبعد أن تناولت طعام الافطار وجلست اتناول فنجانا من القهوة اذ اقبل الخادم والقى بين يدى صحف الصباح ومن بينها صحيفة الطان وهى التى تعودت أن أقرأها اولا وبينما كنت اقلب صفحاتها واذا بعنوان ضخم فى العمود الثالث من الصحيفة الثانية بهر بصرى فوقفت عنده واذا به :—

## نجاح باهر

أعلنت أمس جامعة باريس اسماء الطلبة الفائزين في الدكتوراه لعلوم الحقوق والعلوم الاقتصادية فكان من بينهم نابغة كبير حاز لأول مرة درجات لم يسبق أن نالها مثله في السنين السابقة فاستحق أعجاب أساتذته وقد حاز شرف الاولية على أخوانه ونال مدالية الشرف الذهبية كما استحق أيضا مبلغ الثلاثة آلاف فرنك التي كان قدمها ( دوق بويتاني ) لتمنحها الجامعة لمن ينال ارفع الدرجات في هذا الامتحان وهذا الطالب هو المسيو : ( رولاند ديمون ) فنهنئه بفوزه الباهر كما نهنئ فرنسا بفخر ابنائها . وقد تلا المسيو رولاند في فوزه الطلبة الآتية اسماءهم وهم حسب ترتيب درجاتهم حضرات المسيو ..... الخ هذا وستقام حفلة توزيع الشهادات في الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ١٢ نوفمبر

* * *

لم يكد يقع نظري على هذا الخبر السار حتى صحت من اعماق

قلبي (شكراً لك يا الهي لقد تم فوزي وتحققت آمالي) وأني لا أخالك أيها القارئ الكريم الا مقدراً ما اصابني من السرور واذ ذاك

لم افرغ من تلاوة الصحيفة حتى اسرعت نحو مكتبي ثم امسكت بقلمي ولكني للغرابة نسيت الغرض الذي عزمت على الكتابة من اجله ثم تذكرت بعد برهة اني كنت انوي كتابة دعوة لصديقتي (لوسي) لتتناول معي الشاي بمنزلي على اني استحسنت ان تكون هذه الدعوة بعد مضي حفلة المدرسة أي بعد يوم ١٢ من الشهر القادم

لذلك القيت القلم من بين اصابعي وفي صباح يوم ١٣ نوفمبر قبل ان اقصد دار الجامعة كتبت اليها الدعوة الآتية :—

عزيزتي لوسي .

اني سأكون سعيداً جداً ان اراك غداً في منزلي تتناولين معي الشاي في الساعة الخامسة مساء اذ لدي حديث هام أحب ان القيه على مسامعك . واني انتهز هذه الفرصة فابشرك بفوزي في امتحان الدكتوراه كما اعلنت صحيفة الطان ذلك الاسبوع الماضي ... الى الملتقى .

المخلص

رولاند

والحقيقة انى عزمت ان أحدثها عن حبى لها فانى لم أصبح أطق على كتمانه صبراً بعد ، واقد تعمدت ان أفوه عن نجاحى بين سطور كتابى لثقتى بأنه سيكون له أثر حسن فى نفسها ويرفع من شأنى فى عينها .

أخذت أفكر بعد ذلك كيف تكون مقابلتى للوسى ، وكيف أفاتحها حديثى فتواردت على ذهنى أفكار عديدة ولما حرت بينها وكلت امرى اخيراً للظروف وطرحت التفكير فى هذا الأمر جانبا .

توجهت الى دار الجامعة حيث اقيمت حفلة توزيع الشهادات فى منتصف الساعة العاشرة وقد افتتحها مدير الجامعة وألقى خطابا شيقاً نالنى فيه نصيب وافر من الثناء ، ثم هنأنى المدير وألبسنى مدالية الشرف الذهبية كما سلمنى أيضاً حوالة مالية باسمى على بنك « الكريدى ليونيه » بمبلغ ثلاثة آلاف فرنك ، وهنا وقفت انا ايضاً وشكرت المدير وحييت اساتذة الجامعة وطلبتها كما شكرت لدوق بريتانى هبته لتشجيع المجدين ، وبعد ان وزعت الشهادات جميعاً انتهت الحفلة فى منتصف الساعة الثانية عشر

فى اليوم التالى قصدت المصرف فصرفت منه المبلغ وبينما

كنت سائراً فى طريق عرضت لى فكرة استحسنتها جداً وهى ان أقصد فى الحال محل تجار الجواهر وأشترى منه هدية ثمينة أقدمها الى « لوسى » عند زيارتها لى اليوم بصفة تذكار لذلك اليوم او التاريخ الذى سيكون مشهوداً فى ايام حياتنا .

لذلك أسرعت وركبت سيارة أوصلتنى الى محل جواهر مشهور كنت أعرفه من قبل بشارع دى بيرون . فانتقيت منه سواراً جميلاً مرصعاً بالماس والياقوت أعجبنى شكله وكان ثمنه ستمائة وخمسين فرنكا فدفعتها وعدت الى منزلى فى منتصف الرابعة فى انتظار حضور لوسى حيث جلست الى كرسى كبير « فوتيل » وأمسكت بسيجارة من سجاير هافانا وأخذت أدخن وقد تركت لنفسى عنان التفكير فى أمر استقبال صديقتى وكيفية مصارحتها بغرامى بها . . . ولقد شعرت فى بادىء الامر بضعفى امام تنفيذ هذه المهمة وشعرت بروح التردد تتمشى فى نفسى حتى لقد فكرت فى أن اكتب لها رسالة أودع فيها كل ما فى قلبى من الحب والوجد حتى اذا ما حضرت عندى قدمتها اليها فتكفينى مؤونة مشافهتها فى هذا الحديث ولكنى وجدت أخيراً ان هذا الرأى سخيف ويدل على ضعف العزيمة والارادة

فطرحته من مخيلتي نهائيا وعزمت عزماً أكيداً على خطابها في الغد

مكثت أدخن مدة واذا بالخادم قادم نحوى ينبئنى بوصول مدموازيل « لوسي » فأسرعت اليها وقابلتها عند باب غرفة الاستقبال فانحنيت وحييتها وقد بادرتني بعبارات التهنئة على فوزى فى امتحان الدكتوراه وكانت علائم السرور بادية على محياها ،

انتقلنا من غرفة الاستقبال الي الشرفة البحرية من المنزل حيث كان أعد لنا الخادم مائدة الشاي وكانت تطل على منتزه جميل يجرى فيه جدول فضى فكان المنظر ساراً مبهجاً .

أخذنا نتسامر فى الشئون العامة هنيهة لاحظت فى خلالها ان لوسى كانت شاردة الفكر وأنه لابد وأن يكون هناك ما يهمها أو يشغلها على انى أهملت سؤالها عما تعانيه من الافكار خوف أن تتألم وكذلك استمرينا فى احاديثنا العامة على ان شعوراً داخلياً كان ينبئنى أنه الغرام الذى تعانى كتمه وهو الذى يلمع فى عينيها هو الذي شرد بافكارها فتفاءات خيراً ، ولم تمض بنا نحو نصف ساعة حتى كنا فرغنا من تناول الشاي ثم عدنا الى مكاننا الاول من غرفة الاستقبال حيث رأيت صديقتى قد أخرجت من

حقيبتها الصغيرة علبة من القطيفة الحمراء ففتحتها وقدمتها الي وقالت :

هذا الدبوس أقدمه اليك كهدية تذكاراً لفوزك الباهر الذى كان له أوقع أثر من نفسى ولذلك فانى قد حفظت ورقة دعوتك اليوم ضمن أوراقى الخاصة تذكاراً لهذا الخبر السار ، وهنا امتلأت نفسى بشراً وسروراً وتقبلت منها الدبوس شاكراً ممنوناً وكان ذهبياً به فص من الياقوت الاحمر على شكل زهرة جميلة والحقيقة انه كان ذا رسم بديع اجتذبنى اليه فتأملت فيه ملياً فاذا هو منقوش عليه كلمة « الحب l'amour » وهى تتخلل أغصان الزهرة فابتسمت وقلت :

هذه بشرى ابتهج لها قلبي .

ماذا ؟

انه مكتوب على هذا الدبوس كلمة الحب وهذا الاختيار منك دليل على أنك صديقة مخلصة لى !

هو كذلك .

صديقة ومحبة أيضاً ؟

فسكتت وقد علا وجهها حمرة الخجل فأكسبتها جمالا فتاناً

وأرخت طرفها وعلى شفتيها ابتسامة حلوة لذيذة .

وهنا لم أتمالك عواطفي فمددت يدي وامسكتها من اناملها الوردية ثم قلت لها بصوت متهدج خافت :

انى أحبك يالوسى ، بل أعبدك فلقد اخترق سهم جمالك قلبي منذ الصغر فنما ممتزجا بغرامك دنفا بك ، انى ماكنت أوثر الحياة على الموت هذا العهد الطويل الا من من اجلك ، انك أنت مالكة قيادى وسالبة فؤادى بل أنت حياتي وفيك مماتى فهل أنت كذلك يالوسى تحبيني وهل يسعدنى الحظ بهذا النعيم الابدى !

سكت وسكتت الفتاة هنيهة ثم قالت :

« انى أحبك يارولاند ايضا بل أنى افضلك في الحب »

ثم تملكنا سكون عميق وقد مكثنا على هذه الحال ساعة صامتين قانعين كل القنوع بنظراتنا التى لم يحولها أحدنا عن الآخر ، سعيدين كل السعادة اذ وجد كل منا الآخر في النهاية

بعد برهة قمت من مجلسى وعدت ومعى السوار الذى أعتزمت اهداءه لها فقدمته اليها وقلت وهذا تذكارى لك لليوم

الذى فزت فيه بأكبر فوز فى حياتى ألا وهو احراز قلبك الطاهر

فابتسمت وتناولته منى وهي تردد عبارات الشكر ولذة الغرام

تظلل صفحة وجهها فسالت من عينيها قطرة دمع حارة عندها

ذرفت عيني مثلها فتأثرت تأثرا شديدا وانحنيت نحوها فقبلتها

قبلة حارة كانت هى اول زهرة من زهرات غرامنا !!؟

آه ، القبلة ما احلاها ، انها تلك الأنة الخفيفة التى تسمعها

عند تلاقى الشفاه فتطرق أبواب القلوب حيث تهتز لها اهتزازا

هى قطرة عذبة تحيي الأفئدة ويوقظ سقوطها المهج ، هى طريق

عروج الارواح الى عالم الملائكة والوحي ، هى تاج الغرام فوق

رءوس المحبين ، بل هي الطريق المختصر لمناجاة النفوس والدليل

الساطع على اخلاص القلوب ..

حقاً ما كان أسعدها قبلة ثملت فيها بنشوة الغرام لحظة ثم

التفت وقلت

أرأيت يالوسى كيف ان دمعينا قد التقى معاً . ذلك فأل

حسن على اننا سنتحد معاً يوماً ما اتحادا أبديا !

وبينما كانت الدقائق الحلوة تمر كالبرق ساد بيننا سكون

آخر عميق بحيث كنا نسمع في خلاله دقات قلبينا ، اخيراً تحولت

الها ونظرت الى عينيها اللتين كانتا تلمعان بضياء الغرام فى حين ان صارت يديها بين يدى حارة فجأة وأخذ نبضها يضرب بشدة

خاطبتها بصوت متقطع ولكن بسرعة

لوسى: انى أحبك فوق كل شىء كما تعلمين: وانك تحبيننى كذلك وهذه حالتنا منذ البدء كما يخيل الى ايضا انى أعلم ذلك، ولعمري ما فائدة الكلمات اذا كان بيننا ما هو أقوى من الكلام وأبقى منه: انك وأيم الحق لى كما انا لك واذا كان الامر كذلك فانى لا استطيع . .

فقاطعتنى بحالة مؤثرة قائلة :

انى احبك يارولاند . آه انى اجد هذه الكلمة مبتذلة قديمة اريد لو استطعت ان اجد كلمة اخرى تعبر عما يخالج ضميرى نحوك، ولكن اذا كان لا يوجد غير هذه الكلمة فثق يارولاند انى احبك حبا دونه الموت فتأكد انى لك وانى سأحيا لك واعيش من اجلك وحدك . وهذا عهد على لك واشهد الله والملائكة عليه ثق انى احبك . احبك يارولاند حبا لم تشعر به امرأة من نحوك ولن يشعر به أحد . آواه ليتنى أجد كلمات او أفعل شيئا ابرهن به على

اخلاصى لك وغرامى بك . وبينما كانت تتكلم سمعت ساعة الحائط تدق السابعة فهمت بالانصراف وهى تقول كنت اود ان أمضى معك وقتا أطول لولا ان والدى فى انتظارى لمرافقته الى مسرح التمثيل . ولكن ثق انى سأكون لك دائما . فشيعتها بنظرة ملؤها السرور والالم وكذلك تصلبت عينى فى أثرها حتى توارت عن بصرى ...



١٥

## السعادة

مكثت برهة مكانى بعد ما خرجت لوسى وأنا لا أدرى أين أنا لأنى كنت انتقلت الى عالم آخر هو عالم السعادة والغرام؟

السعادة؟ هى اسم لمسمى لا نستطيع وصفه أو تعيينه فهى ليست بشىء مادى ملموس يمكن أن نراه أو نمسه ، ولكنها هى سر خفى بل شعور ليس له حد ، وهى كائن سماوى لا يتيسر لنا وصفه أو تصويره فهى اللذة وهى العناد وهى الحزن وهى الاسى وهى كل شىء . . . ؟!

معانى السعادة متضاربة مختلفة ومع ضعفى عن تحديدها فانى أستطيع أن أقول أنى كنت أشعر بأنى سعيد : سعيد جداً بل أسعد مخلوق فى العالم فى تلك الساعة ، لا أدرى كيف ذلك وقلبى كان يلتهب حقداً على الزمن الذى مضى سريعا وفؤادى كان يتألم ألماً شديداً الآن الفرصة التى سنحت له فيها مناجاة لوسى لم تطل أكثر

من ساعة قصيرة . . كيف أكون متألماً وأكون سعيداً في وقت واحد ؛ ذلك ما يجعلني أرى في السعادة مني لا يدرك وسراً بعيد المنال ، أجل ولكني كنت سعيداً لأنني فزت نهائياً بالقلب الذي طالما تاقت الى مناجاته نفسي من زمن بعيد . . . !

لم تبرح خيالي صورة حوادث اليوم الفائت طول المساء ، بل لقد عاودتني في أحلامي فها أنا أرى رفيقتي ومعبودة قلبي بجانبي تبث الى شكوى غرامها وأبثها مكنون قلبي ، ها هي تقسم لي قسم الحب المقدس وها أنا أهب لها حياتي حتي الأبد ، كذلك كانت صور الامس بين يدي طول الليل بل وأصبح الصباح وهي ماثلة في خيالي كأنها حدثت منذ هنيهة حتى صرت أشعر اني لم أعد أطيق صبراً على مفارقة صديقتي ساعة واحدة ولذا رأيتني فجأة اسطر لها الرسالة التالية وهي أول كتاب أخطه في حياة غرامنا الجديدة :

عزيزتي لوسي

كانت الساعات التي قضيناها أمس مما هي مانالني في الحياة من الهناء منذ وجودي في هذا العالم حتى اليوم . لقد خدعت قلبي مراراً في حبه وما كنت أدري أن فؤادي يستطيع أن يتحمل

كل هذه السعادة التى منحتيها لى أمس ولكن روحك القوية ، روحك التى هى من روح الله هي التى أمدتنى بهذه القوة العظيمة التى خلقتنى من جديد وصورتنى منذ البداية ماذا أقول وأنا أرى ان كل كلمة أسطرها لاتفى بالغاية التى أنشدها ولا تعبر عن حقيقة مافى نفسى فاذا سطرت اليوم فهى سطور سقيمة عليلة .

أن للحب لغة خاصة لا تعرفها غير القلوب لذلك كان عبثاً مني أن أضطر اللسان الى التعبير عن هذه اللغة التى هي ليست من الفاظه .

لقد أحببتك يالوسي منذ الصغر حتى بات حبك عنصراً من عناصرى ومادة من مواد حياتى بل هو حياتى كلها لا أنها مرتبطة به ففناؤها فى فنائه وبقاؤها فى بقائه ، ولقد ظلمت نفسى واشقيتها طول السنين الماضية بابطائى فى بثك شكوى فؤادي وما كان يعزيني اذ ذاك عن شقائى بعض العزاء غير انى كنت أراك من حين الى حين فى مجالسى ومجتمعاتي فاسمع من حديثك ذلك الاسلوب الجميل والنغمة السحرية وأرى فيك تلك الروح العميقة الساكنة التى طالما ملكت على مهجتي وفؤادى ، فشب قلبي ونما على تقديسها فيك وكذلك سيبقى بقية الحياة .

لا تعتبي علي ان انا لم أطنب الك جمالك وحسنك في حديثي وهو عادة الامر الذي تبتهج لسماعه نفوس الحسان لان نفسك السامية ورودك الشريفة التي تملكت على فؤادي قد الهتني عن كل شيء سواها . لذا فكم كنت أراني سعيداً كلما سنحت لي فرصة الجلوس معك ساعة فأستشف فيها من بين غلائل نفسك أسرار هذه الروح الملكوتية التي هي من روح الاله والتي تستمد حكمتها من حكمته . وفوق ذلك فانه مع اعجابي بالجمال الشكلي فأني أعتقد أنه في المرأة كالزهرة اليانعة أجلها الى حين فلا تلبث أن تذبل وتفني او هو كالطلاء على الحائط لا تزال تعبث به الايام وتنال منه يوماً بعد يوم فتطفيء من بهجته قليلا قليلا حتى يزول تماماً ، وأما الجمال الروحي فأنه دائم لا تزيده مرور الايام الا جدة وبهاء فهو ينمو بالتجارب ويزهر مع الاعوام

عزيزتي :

لا يستطيع الغني ان يكون صديقاً للفقير ، لانه يحتقره ويزدريه فلا يرى فيه فضيلة يصادقه عليها . كذلك لا يستطيع ان يمنح يد ابنته لشاب فقير لانه يرى انه يدنس شرف ابيها ولو كان من اهله قال انه يشقيها ويتعس حياتها . لذلك عندما ارادها لي خطبتك

لي منذ بضعة اعوام رايت اباك يجيب بالرفض : لا لاني اقل منه شرفا وأصلا ، وأنما لأنه غني ثري يحمل لقب كونت وانا فقير معدم ليس لي من الالقاب والرتب شيء ولقد رأى من المجاملة وحسن اللياقة ان لا يجيب هذا الجواب دفعة واحدة فأجاب اجابة هي خليقة بالضعيف قليل الحيلة .

اسمحي لي يالوسي أن أقول ما في نفسي بصراحة لأن لي ضميراً يحاسبني ويؤنبني ، لذلك وجدتني يا صديقتي إثر هذه الحادثة أعلنت أنى لم أكن أحبك او لم يكن لدي فكرة او رغبة الاقتران بك فعتبت علي وقتئذ والدتك وكثير من الناس وقد تكونين أيضا عاتبة بشيء من ذلك فعتبت علي في نفسك وتزعزعت ثقتك في على أن الحقيقة كانت غير ذلك فأني ما صرحت أني لا أحبك الا لأدرأ سهما رماه في صدري ابوك واحافظ على كرامتي التي اراد والدك ان ينتهرها . يمينا إن قلبي ما كان الا يتقد بنار غرامك ولو استطاع لارسل لهب نيرانه الى ذلك اللسان او الشفتين اللتين اعلنتا أنكار حبك زوراً وبهتانا واقضى عليها قضاء تاما . ومن أجل هذا يالوسي أقسمت في نفسي قسما لايحله الا الموت ان لا اطلب من أبيك يدك الا بعد أن أطلبها

منك وتنحيها الىّ ثم الا افعل ذلك الا في الساعة الّتي يراني فيها الناس قادرا على اسعادك واسعادي .

أرأيت يالوسي كيف ان الحب عظيم وكيف يكون عمله عظيما وكيف انه يحبب الى النفوس العظمة و الرفعة ، لقد كانت لي آمال كبار وأماني حسان وكانت نفسي مملوءة بعظائم الامور وجلائلها فلم يكن انتصريح ابيك اثر في نفسي التي هذا هو طريقها في الحياة بل ما كان هذا الرفض منه الا ليزيدني عزيمة على عزيمتي وطموحا فوق طموحي لكي اكون عظيما كما كان يظن ابوك نفسه عظيما ، بل أريد ان اكون اكبر من ذلك ، لان اباك عظيم بالثروة فقط واما انا فأنى اريد ان اكون عظيما بالمال والعلم والجاه وها انا ارى الله معي وسيكلل آمالي بالنجاح اخيرا كما كللها في الخطوة الاولى من حياتي ولسوف يتمم عليّ نعمته مادام في العمر بقية .

لوسي ، أني مارغبت في هذه العظمة من أجل نفسي فحسب بل من أجلك أيضا لتفخري بها بل وليفتخر بها أبوك حتى لا يقول له قائل أنه منح يد أبنته لرجل فقير معدم ، ذلك هو ما دفعني اليه الحب الذي هو منبع العظمة ، ولكن الا ترين الآن يالوسي أن في تصريحي

الماضي من أني لا ( احبك ) رؤية نجنيها اليوم ، لقد اصبح هذا الاعتقاد سائدا بين الناس فهو سيعمي ابصارهم عنا ويبعد مكائدهم عن مناوأتنا فنسعد بحبنا وننهنأ بغرامنا الى أن يدبر الله من أمرنا رشداً ثم اني لم اكن اتأخر عن مفاتحتك أسرحبي ومبادلتك عبارات غرامي الا لأنك كنت صغيرة السن وقد كنت أخاف عاقبة الخيبة وان تردّيني بالخسران لأنّي اعتقد ان كل نبات يزرع في ارض غير أرضه او ساعة غير ساعته فهو اما ان تأباه الارض فتنبذه واما ان ينشب فيها فيفسدها ، لذلك تأخرت حتى كانت ساعة امس ، التي افضيت فيها اليك بأسرار قلبي ، تلك الساعة التي ستظل ذكراها حية الى الأبد استمد منها قوتي وعزائي في الحياة وأتأنس بها من وحشتي في القبر.

لوسى : هل لك ان تسعديني اليوم بمثل ما أسعدتيني به أمس ، ان قلبي يناديك ومهجتي تتوسل اليك فهل ستكونين عند أملي في كرمك وثقتي في رحمتك ، لوسى : أني اتضرع اليك ان تهبيني ولو دقيقة واحدة أمتع فيها برؤياك واسمع فيها نغم كلماتك العذبة ، اني في انتظارك في مثل ساعة أمس ومثل مكانه البارحة ؟

رولاند

ما كانت لوسى اترد تضرعى اليها ورجائى عندها فلقد حضرت فى الساعة المضروبة وقضينا مدة كانت من أهنأ أوقاتنا وكذلك تعددت مقابلاتنا بعد ذلك اليوم تارة فى المنزل واخرى بين حدائق باريس ورياض ضواحيها وما جاورها من القري والمدن وطورا فى دور تمثيلها اومسارحها وهكذا سعدنا بحياتنا عدة أيام كانت تطفح علينا فيها اسباب الرفاه والنعيم ..

# ١١

## الخطير

في يوم ٢ اغسطس دق التليفون بشدة فهرولت اليه أرى ماالخبر ورفعت السماعة الى أذني فسمعت صوت «لوسى» يناديني فسألتها عما جرى فأجابتني بتلهف وبصوت متهدج أريدمقابلتك حالا في هذه الساعة لأمر هام وأني في انتظارك في محل «فارنوه الحلواني وفي الحال احضر لي الخادم سياره ركبتها وبعد نحو عشر دقائق وصلت المكان المعين فرأيت صديقتي جالسة الى أحدي الموائد مكبة برأسها الى صحيفة أمامها وكان يبدو على وجهها علامات الغضب والحنق كما كان لونها شاحبا أثر حالة شديدة من الحزن والألم ، عند ذلك خفق قلبي وتمشت الى نفسي روح الخوف والريب فلما أقبلت عليها حييتها فوقفت وسلمت علي وضغطت على يدي قليلا بخلاف عادتها كأنها تريد أن تقول أنني اليوم اشد في حبي مني في يوم آخر .

جلسنا وسألتها عن امرها فأجابت :

انهم يريدون ان يقضوا على سعادتنا ويسحقوا قلوبنا

من ذا يفعل او يحاول ان يأتي ذلك ؟

أبي !

وكيف ؟

انه يريد ان يزوجني من فرنسوا روستان

وماذا كان جوابك له ؟

طبعا الرفض التام !

وماذا كان رده على ذلك ؟

انه متمسك برأيه وغير متنازل عنه رغم معارضة والدتي له

وما الذي يدعوه الى ذلك وعلام يفضل فرنسوا عن غيره ؟

يقول انه ثري كفيل بسعادتي وان اباه صديق له

يالها من سخافة وادعاء كاذب : متى كان المال وحده كفيل

بسعادة شخصين لا يربط قلبهما حتي ولا رابطة ودادوعطف ؟ :

ولكن ماذاقر عليه رأيك ياصديقتي ؟

اني طلبتك لاستشارتك والبحث عن افضل الطرق التي

نتخذها ازاء ذلك :

المسألة تحتاج الى تفكير وروية

لا ، اننا نريد الاسراع في البت في الامر فأن أبي يزعم أن حفلة الزفاف ستكون في الاسبوع الاول من الشهر القادم على الاكثر .

ولكن ألم تحاولي ردع ابيك عن فكرته وماذا كان جوابه لوالدتك .

قلت انه مصمم على رأيه ولذلك ارى انه يجب ان نفر من وجهه

هل انت موافقة على فكرة الهروب وترتضي الفرار من فرنسا؟

نعم ذلك هو ما خطر ببالي

وهل انت مستعدة لمقابلة جميع المشاق والمصاعب التي قد تلاقينا في طريقنا مع العلم بانه ليس لدينا من المال ما يكفينا بضعة أسابيع في بلاد اجنبية ؟

نعم ، على اتم استعداد وستجد مني انسانا قويا قديرا على مصارعة متاعب هذه الحياة وتمهيد سبيله فيها !

وانا ايضا يالويس على اتم اهبة .

(اسمع يارولاند ، اني احبك حبا هو منتهى ما يتصوره حي على هذه الارض ، اني لا اريد ان اضحي بهذا الحب ، اني لا اريد قلبا

غير قلبك ولن يكون له بديلا ، أنك كل شيء لي في الحياة ، فبالله هل وثقت مني ؟

وهنا قاطعتها

هدئي من روعك وخفني من حدتك فأني عند قدميك قد وهبت لك حياتي فلا تتصورين أني أعيش بدونك ساعة واحدة فأنا أنافقط حي من اجلك واستمد قوتي وحياتي من روح غرامك ، فهل يداخلك ريب في ذلك !

كلا ، حاشا ان يحدث ذلك :

اذن دعينا نعود الى موضوعنا الاول فأي البلاد تفضلين السفر اليها ؟

اني ارى ان نرحل الى القارة الامريكية فهي بلاد واسعة الارجاء لنا فيها مأمن من دسائس الاعداء ومتسع من الاعمال

ذلك اختيار حسن فعلينا اذن ان نستفهم عن موعد اول باخرة تبحر الى ميناء نيويورك او غيرها من الموانيء الامريكية في هذا الاسبوع او الذي يليه :

لقد استفهمت قبل وصولي هنا وعلمت ان الباخرة « بون فوياج »

ستبحر فى منتصف الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين من الاسبوع القادم من ميناء الهافر ثم الى نيويورك .

اذن فلدينا وقت كاف انهيء تذاكر السفر والتصريحات في خلال هذا الاسبوع وسأبدأ فى ذلك من صباح الغد ثم نسافر فى اول قطار يغادر باريس من صباح الاثنين القادم فنصل الى ميناء الهافر فى منتصف الثالثة مساء اى قبل موعد ابحار السفينة بساعتين .

هو كذلك وانى اودعك الآن يارولاند وموعدنا غداً في نفس هذا المكان فى مثل هذه الساعة ثم حيتنى وانصرفت .

*
* *

كان كل مالدىّ من النقود في ذلك الوقت هو مبلغ الفين ومائة فرنك وهى الباقية عندي من هبة الجامعة سندفع منها للباخرة نحو ١١٠٠ الف ومائة فرنك والسكة الحديد من باريس الى الهافر نحو مائتى فرنك ثم نشترى منها بعض اللوازم الضرورية لسفرنا مثل تليسكوب وبعض الاطعمة والسجاير بنحو ثلثمائة فرنك ثم نصرف منها ايضا فى اثناء سفرنا نحو خمسين فرنكا ومثلها فى الباخرة فتكون جملة

مصروفاتنا حتى وصولنا الى ميناء نيويورك هي الف وسبعمائة فرنك ويكون الباقي معنا هو مبلغ اربعمائة فرنك لا غير وهو مبلغ وان يكن يسيراً فهو يكفينا عناء الجوع وشر الله حتى نجد عملا نكتسب منه

قدرت هذا الحساب في خيالي بينما كنت سائراً في طريق الى المنزل وفي صباح اليوم التالي عجلت بالذهاب الى مكتب الباسبورت وبعد ذلك قصدت مكتب شركة البواخر الفرنسية حيث اشتريت تذكرتين وحجزت لنا محلين بالدوجة الثانية بالباخرة «بون فوياج» وكذلك تم كل شيء تقريبا

وبعد يومين من ذلك استلمت تصريحات السفر ثم اشتريت ما رأيته ضروريا من لوازم رحلتنا وفي صباح الاحد اعددت حقيبة ملابسي الصغيرة لاني لم أشأ اخذ شيء كثير من الامتعة حتى لا يضايقنا في سفرنا ، وفي مساء ذلك اليوم قابلت لوسي بمحل «فارنو» حيث قضيت معها ساعة ثم انصرفنا على أن يكون موعدنا غدا الساعة السادسة صباحا بفناء المحطة . : :

# ١٣

# فى السفينة

فى الساعة السادسة وربع تماماً من صباح يوم الاثنين ٥ اغسطس اخذت مقعدى باحدى عربات الدرجة الثانية وجلست لوسى الى جانبي وفى منتصف السابعة تماماً تحرك القطار من مدينة باريس الجميلة وكان الجو رطباً وتعلوه بعض السحب الكثيفة التى انقشعت بعد ساعة تقريباً ثم بدأ الكون يمسح عن عينيه سنة الكرى وقد اطلت الغزالة من خدرها تضىء الفضاء بشعاعها الذهبى فكنت ترى على اليمين والشمال من نهر السين سهولاً منسعة ناضرة وحقولاً خضراء وقد ترى سرباً من الاشجار او بعضاً من الاحراش الصغيرة وهي تتخلل المساحات الواسعة كما ترى من بعيد السهل المنحدر على شاطىء السين من الجهة اليمنى الخط الحديدي .

وصلنا مدينة روان فى منتصف الساعة الحادية عشرة وكان

الجو صحواً فبدت المدينة تحت اشعة الشمس وزرقة السماء كأنها قطعة من الفردوس تخلب الانظار ببهائها على ان القطار لم يمكث بها طويلا فقد غادر المحطة بعد خمس دقائق من وصوله اليها وقد كنا وقتئذ نطل من نافذة الركبة واذا بربوة اخذت ترتفع من بين الحقول الخضراء واستمرت تظهر قمها شيئاً فشيئاً ، وأس برج ثم اطراف بضعة اعمدة رخامية بيضاء ناصعة تحققنا منها بواسطة التلسكوب بأنها مقبرة احدي القرى القريبة وان هذا البرج هو للكنيسة المجاورة لهذه المقبرة .

من بين هذه القبور التي ادخلت في قلبي انا ولوسي شعور التجلة والاحترام لها استلفت نظرنا قبر كان معلقاً فوق الارض يحمله تمثالان من الرخام على شكل ملاكين لهما أجنحة موضوع عند رأس كل منهما اكليل من الازهار فيه دائرة من الورد الاحمر تتقاطع مع خط من الازهار البيضاء .

فقالت لوسي :

الست تشعر بشيء لرؤية هذا القبر ؟ انه يؤلمني وجعل قلبي يخفق له خفقاناً سريعا .

أجل ، ان شكله يدعو الى الاهتمام ويثير الالتفات وجود مثل

هذه الاكاليل فوقه دليل على ان الميت فتاة عذراء كانت تحب فان الورد الاحمر دليل الحب والأبيض دليل العذارى !

يالها من مسكينة بائسة مخلصة في حبها وفية لحبيبها ، اني لم اتألم قط لغيرها بمثل المي لها !

هذه حقيقة يالوسى لانك تشرفين الآن عليها بين القبور

آه ، ياروللاند انى اخاف ، اني ارتعد

لاتخافي ودعي عنك ذكر القبور والآن متعي الطرف بمناظر الطبيعة البديعة او تعالي نجلس لنقرأ صحف اليوم فاني قد احضرتها معي من باريس .

ولم تمض بنا بعد ذلك مدة طويلة حتي سمعنا صفير القطار يؤذن بالوصول

وما هي غير برهة حتي وقف عند رصيف محطة الهافر فانزلنا حقيبتينا احداهما لي والثانية للوسى ثم قصدنا تواً المرفأ حيث وجدنا السفينة راسية فعرفنا فيها حجرنا واسترحنا قليلاثم سرنا نشاهد مناظر الميناء وقبيل الميعاد المعين لابحار الباخرة اخذ الرصيف يزدحم بالناس من المسافرين والمودعين لهم وفي منتصف الساعة الخامسة تماما تحركت الباخرة تشيعها دعوات الاصدقاء

والاقرباء وترفرف وراءها مناديل الاحباء والمخلصين تبعث الى الركاب تحيات الوداع ...

* * *

يرى المسافر براً انه بين سلسلة مناظر متتابعة تسليه في وحدته وتسامره في وحشته وتشعره بأنه لا يزال متصلا بطرف هذه السلسلة الاول بوطنه العزيز وبلاده المحبوبة وعلى العكس من يسافر عن طريق البحر فانه يجد ان هذه الحلقة قد انقطعت بمجرد وطء قدمه سطح السفينة فيشعر كانه فصل عن هذا العالم وانتقل الى حياة مملوءة شكوكا غير مأمونة ، فبينه وبين وطنه يم واسع مترامي الاطراف عرضة لعصف الزوابع وقصف الرعد وهبوب الاعاصير والرياح حيث المخاطر والمخاوف

كذلك كانت حالى عند ما شيعت آخر اثر من ارض فرنسا المحبوبة ، وهي تتوارى تدريجيا وراء الابعاد السحيقة حيث اختفى معها أعز مالي في الحياة .

ماذا اعاني من المخاطر في طريقي وماذا الاقي من حوادث ومتى اعود الى وطني المحبوب ، وهل لي نصيب في رؤيا ارضه

واهله ، ذلك ما اجهله

ان فى السياحة البحرية متسع عظيم لأهل الخيال لارسال افكارهم بين ذلك الافق الممتد حيث الهدوء والسكينة

ولقد كان من دواعى بهجتى ان اطل من نافذة غرفتى او أصعد مع رفيقتى الى سطح الباخرة في الايام الهادئة ذات الجو اللطيف فنقضى الساعات الطويلة نتمتع بنسيم الماء العليل كما نمتع الطرف بأسراب السحب الذهبية التى تشرف على الافق فتحميه حرارة الشمس الساطعة ، او نراقب رشاش الامواج المتدحرجة فوق صفحة الماء وهي ترغي وتزبد وتسير وتتهادى وتتبختر حتى تحتضن تلك الشواطيء الجميلة

ولقد كنت اشعر بأحساس لطيف ممتزج بالتجلة يملأ قلبي كلما نظرت من قمة السفينة نحو تلك الأغوار السحيقة والاعماق البعيدة حيث تأوى فصائل الاسماك العديدة والحيتان الضخمة وهي تغدو وتروح فى عالمها اللانهائى .

ولقد كان يذهب بي الخيال أحيانا الى التفكير فى صنع السفينة التى تمخر عباب الأمواج وهي ذلك الاختراع البشري البديع بل تلك القطعة المجيدة من فخر الانسان التى اذعنت لها

الرياح والامواج فوصلت بين أطراف المعمورة وربطت بين اهلها المتباينين ، وتبادلت بينهم خيراتهم المختلفه وأخصبت بلادا مجدبة وأثرت أمما فقيرة ونشرت معارف الامم القديمة بين أهل أختها الحديثة وكذلك عملت على ترقية العالم والاخذ بناصر المدنية والعمران .

فى اليوم الثالث لمغادرتنا ميناء الهافر أخذت السفينة تخف فى سيرها وقد كانت السماء صافية والامواج هادئة وبدأ يهب علينا فوق سطح الباخرة نسيم منعش من البحر الايرلندى وقد كانت اضواء الشمس الشارقة اخذت تموه الامواج بلونها العسجدى الجميل مما يبهج النفوس ويشرح الصدور كما زاد فى بهجتها رؤية تلك الطيور المائية التى اخذ يكثر عددها فوق سطح المياه وهى تقفز من مكان الى آخر وتطأ مقدميها قمم الامواج بدون اكتراث ثم لم تمض غير ساعات قليلة حتى سمعنا صيحات الهتاف والابتهاج بين الركاب النازلين فى ليفربول ذلك الميناء العظيم الذى يبدو منظره بديعا بين عدسات التليسكوب .

وبينما كانت السفينة تقترب من مصب نهر المرزى اخذت تجذب انظارنا تلك الاكواخ الجميلة المكسوة بالنباتات الخضراء

اليانعة والحشائش السندسية ثم توالى ظهور مبانى المدينة الضخمة واستمرت أبراج الكنائس ومداخن المصانع تتموج صاعدة بسموها الشاهق من وراء التلال المشرفة على الشاطيء فكان المشهد غاية فى البهاء والابداع

واستمر الريح هادئاً والنسيم عليلا حتى وصلنا الى لسان من الارض وكان مزدحماً بالناس من المستقبلين وأصحاب المتاجر والاعمال فأخذت الجموع المحتشدة تتبادل التحيات والتسليمات ومنهم من يسرع فى خطاه يبحث عن صديق ومنهم من يقف بغتة عند رؤية رفيق أو صاحب لم يره منذ مدة وكذلك مضت ساعة على هذا الحال . . . ولما كان موعد السفينة أن تبحر فى صباح اليوم التالى فقد نزلنا منها وأخذنا نطوف فى انحاء ليفربول حيث رأينا مصانع القطن العظيمة ومخازن البضائع الهائلة واحواض السفن التي تنبيء عن أهمية الميناء ليس فى بلاد الانجليز وحدها بل فى العالم أجمع .

مضى على ابحارنا من ليفربول نحو ثلاثة ايام وبينما كنت ولوسى نطل من النافذة واذا بها تشير بيدها الى شيء بعيد يطفو فوق الماء وهي تقول :

أنظر . ماهذا انه يرعبني ويثير في قلبي الخوف ؟ !

فأجبتها ، لا شيء ولعلها قطعة خشبيـة تخلفت من بعض السفن التي تشق عباب هذا المحيط في كل حين ، وفي الحقيقة ان كل شيء كان يعكر على اليم هدوءه كان يبعث الى التفكير ويولد الهواجس ، ولما اقتربنا من هذا الشبح تحققت انه قلع سفينة غارقة طبعاً وهذا من بقاياها بعد أن ابتلعها المحيـط عن آخرها في أعماقه البعيدة وكذلك استغرق منى أثر هذه السفينة كل اهتمامى في تلك الساعة .

تري أى سفينة هذه وما اسمها ؟ انه ليس هناك اى أثر يدلنا على معالمها ولكن من المحقق ان الغرق حدث منذ زمان بعيد بدليل تراكم هذه الاعشاب والحشائش واصداف الاسماك حول قطعـة الخشب ولـكن اين ذهب بحارتها وركابها ؟ وهنا مرت سحابة الـكآبة على وجهى وتغلغل شعور الألم في فؤادى ، انهم غالباً قد استشهدوا جميعاً بعد ما عانوا من الـكفاح أشده ومن النضال أعظمه ، فسقطوا جميعاً بين مخالب الزوبعة وزئير الرياح ونهشتهم الامواج والحيتان والآن فلابد ان عظامهم البيضاء تلمع بين تلك الاغوار البعيدة

من يستطيع ان يسرد ما داهمهم او يصف ما نزل بهم من القضاء ؟

لا احد بل قد أرخى عليهم النسيان اسداله ومحى صحيفتهم من مجلد هذا الوجود .

كم كانت التنهدات التي شيعت السفينة ، وكم هي الصلوات التي صليت من أجل من فيها عند الرحيل ؟

كم من فتاة او عذراء او زوجة او ام تزاحمت على الصحف اليومية املها تعلم من أمر شقيقها او زوجها او وحيدها من خبر ولكنها باءت بالخيبة وعادت بالحسرة والألم

كم أظلمت اضواء آمالهم بين طيات الشك وتشعع الشك الى سحب الهلع والخوف الذي تحول الى اليأس التام .

وآسفاه ، ليس هناك من تذكار واحد نراه يذكرنا بأهل هذه السفينة المنكوبين وانما غاية ما نعرفه هو أن السفينة ابحرت من مرساها ثم لم تعد بعد ! !

بينما كانت تساورني هذه الافكار لذكري السفينة الغارقة كان الليل أخذ ينشر رداءه الاسود فوق السكون وكانت هذه الذكريات بدأت تدب ملائم الخوف في نفسي ولكن ما لبثت

أضواء البدر حتى سطعت فى كبد السماء فبددت برؤياها كل آثار الخوف والريب ، فمكثت ولوسى فوق سطح الباخرة حتى ساعة متأخرة من الليل ونحن نناجى القمر ونستنبئه عن نوايا مستقبلنا وما خطته يد القدر لنا فى ألواح الغيب وما زلنا كذلك حتى دعانا سلطان النوم الى المثول فى حضرته فذهبنا الى فراشنا حيث انتقلنا من هذا العالم وجلبته الى عالم السكينة والاحلام

وبينما كنا فى سباتنا العميق اذا بنا نهرع من اسرتنا ونسرع الى أرتداء ملابسنا على أثر اصوات مزعجة وصراخ مفزع أصوات الاجراس تهدر فى الفضاء والبحارة تنادى بعضها البعض والربان يصدر أوامره مسرعاً والمسافرون يتضرعون الى الله والاطفال يصرخون ويعولون وكذلك قد ساد الهرج والمرج فوق السفينة فدخل الرعب على لوسى وأخذت ترتعد فزعاً . . .

لقد كنا حوالى الفجر من صباح اليوم التالى وقد تجهم الجو بالسحب وانتشر ضباب كثيف فى الجو بحيث لم نكن نستطيع نظر الاشياء الا من خلال الاضواء الضئيلة التى كانت تنفذ الحين بعد الحين من بين شقوق الغيوم ومن المشاعل الضئيلة الباقية فوق سطح السفينة ، وقد بدأ الريح يهب من الجهة الشمالية

الشرقية بشدة وتحول الجو بغتة الى برودة متجمدة حتى شعرنا برعشة تسرى فى أجسامنا وبعد لحظة تعالت أصوات الهول والفزع والتوسل والرجاء واليأس والقنوط ثم ظهرت صخرة ثلجية عظيمة من تحت الامواج فأضاءت ببياضها ظلمة الضباب وسمعنا على أثرها صوت صدمتها الهائلة بمقدم السفينة التى فغرت فيها ثغرة ينفذ اليها الموت مع سيول المياه التى أخذت تتدفق الى داخل السفينة بسرعة وفى تلك اللحظة ارتعدت فرائصنا جميعا ودب الينا نذير الخوف وأخذت لوسى تلتصق بى من شدة الهول وترتم ببضع كلمات أخذت تختنق بين همهمة العويل والبكاء .

هنا غرقت بين الحيرة وبين الارتباك وكان بجانبى أحد الضباط الكنديين فسألته ما العمل ؟ فأجابني باستغراب وثبات عجيب . الموت ! الموت ! . . .

علت الاصوات وزاد الضجيج ثم سمعنا صوتا من جانب الربان فى الطرف الآخر من السفينة التى لم يبق عن أن تلثم مقرها الاخير الا دقائق معدودة ، يقول الى قوارب النجاة . . اقفزوا . انزلوا اليها ، وكانت قد أنزلتها البحارة من أمكنتها الى سطح الماء ولحسن الحظ كانت أضواء البحر قد اتخذت لها منفذا بين ثنايا

الضباب ، على أن رفيقتي في ذلك الحين كانت في حالة ضعف شديد
بحيث لا تستطيع أن تحرك قدماً عن آخر وقد حار فكري في
حملها والنجاة بها ولاحظ الضابط الذي بجواري علائم الحيرة واليأس
على محياي فتقدم نحو الفتاة وحملها بين ذراعيه وبمهارة مدهشة
خطا خطوتين ثم قفز الى احدى القوارب القريبة وكانت محاذية
لنا تقريباً لان الماء الذي أثقل السفينة قد أسقط جزءا كبيراً من
قاعها تحت الماء ، فملأت قلبي نشوة الفرح والسرور لنجاة لوسي
وشكرت صديقنا الضابط من اعماق فؤادي ، ثم ذكرت أمتعتنا
وحاولت أنقاذها ولكني من شدة سرعتي ضللت عنها جميعها ولم
أعثر الا على السلة التي كنا أشتريناها من ليفربول ، فتناولتها في
يدي ووثبت بها نحو القارب وبذلك صرنا نحن الثلاثة الضابط
ولوسي وأنا في أمان من الخطر الداهم والموت المحدق بالسفينة .

أخذ الضجيج يعلو ويزداد وأسرعت الركاب الى النزول في
قوارب النجاة ومنهم من سقط بين الامواج والمياه فلقي حتفه ولم
نكد نستقر في القارب حتى أخذت أنا والضابط نجذف بهمة
لنبتعد عن مكان الخطر فأنه لن تمضي برهة وجيزة حتى يفغر المحيط
فاه ويبتلع تلك السفينة لقمة سائغة ولا يبعد اذا بقينا في مكاننا أن

نذهب بين الدوامة التي ستحدثها المياه اذ ذاك ، وبعد بضع دقائق صرنا على بعد مئات الامتار من السفينة المحتضرة ثم سمعنا حركة هائلة اقشعرت لها الابدان وخارت لها القوى والفرائص فقد رأينا السفينة تهوى بسرعة نحو قاع المحيط ومعها أصوات كثيرة لم تلبث أن اختفت تحت أعماق الماء وقد انفجر اذ ذاك موقد الباخرة عند اتصاله بالماء فأحدث فرقعة هائلة وعلته سحب كثيفة من البخار والدخان انضمت الى آثار الضباب المنتشر في الجو فأقامت سداً بيننا وبين رؤية ما حولنا من مناظر الامواج المروعة وقوارب النجاة التي تحمل الركاب الفارة أمام جيوش الموت ، ولم نبعد قليلا حتى هدأت الاصوات الصارخة فعلمنا أن السفينة قد لمت مقرها الاخير .

١٣

# في قارب النجاة

أستمر تجذيفنا أكثر من نصف ساعة ونحن لاندرى أين طريقنا ولبهجتنا رأينا أشعة الشمس المنيرة تبدد بأضوائها ظلمات الضباب ثم سطعت الأنوار المشرقة فوق سطح المحيط فأعادت اليه بهجته وجماله على انه لدهشتنا لم نر حولنا او قريبامنا ولاقارب مما كانت معنا ونظرنا فوجدنا أنفسنامنفردين بين أرجاء هذا الخضم الشاسع .

كنا على مسيرة يومين اذ ذاك من مرسانا نيويورك وقد هالنا أن نجد أنفسنا وحيدين هذه المدة الطويلة في تلك الجهات المجهولة ولامؤونة معنا على أن الضابط الذي كان يرافقنا كان شجاعا جريئا ذاق من اهوال المواقع والحروب الشيء الكثيرفأخذ يصبرنا ويسرد علينا من أحاديثه ومخاطراته العجيبة ماسرى عن أنفسنا وشرح صدورنا وتذكرت السلة التي معنا ففتحتها فوجدنا بها

زجاجتين من الكونياك وثلاث علب صغيرة من اللحم المثلج وصندوقا صغيرا من «البسكوت» وهذا كل ما كان لدينا من المؤونة وهي الباقية مما اشتريناه من ليفربول فحمدنا الله فقد أمنا بهذا الطعام القليل شر ألم الجوع ورتبناه على أن يكفينا ثلاثة أيام على الاقل بحيث اذا أكلنا لا نشبع وانما نأكل لنضمن بقاءنا احياء في هذا العالم .

استمر بنا السير يوما كاملا وكان الضابط حسن الصدف يحمل معه بوصلة بحريه أهتدينا بواسطتها الى الطريق الصواب كما انه كان عالما بفن البحريه لانه كان ضابطا بحريا في الاسطول الانجليزي الكندي فأخذ يقود انا القارب حتى جاء الثلث الاخير من الليل فشعر بدوار في رأسه وارتفعت درجة حرارة جسمه وقد تحققت بعد مدة من أنه أصيب بحمى شديدة ويظهر ان كبر سنه قد اثر في قواه العصبية وأن برودة الليلة السابقة علاوة عن انه لم يكن لدينا من الاغطية غير ملابسنا التي نرتديها قد سبب له الاصابة بهذه الحمي التي اخذت تشتد عليه ساعة بعد اخرى ومع ما كان فيه من مرض عضال فأنه استمر يمدنا بارشاداته المتوالية عن سير القارب الذي صرت اجذف فيه وحدي بينما كانت لوسي جالسة

تصلي من اجل هذا الضابط المسكين على ان مخالب المرض اخذت تنشب في جسمه بشدة حتى شعر بخطر الموت الذي احدق به فاخرج من جيبه قلما وظرفا وكتب بيده المرتعشة رسالة لزوجته ناولها لي وقال اوصيكم ان تسلموا هذه الرسالة الى عائلتي عند وصولكم نيويورك بالعنوان المكتوب فوق هذا الظرف واني اسأل الله لكم السلامة فذرفت من عيوننا الدموع وابتهلنا الى الله ان ينجيه من دائه ولكن الموت كان يدب الى روحه دبيبا متواليا فشحب لونه واسبلت عيناه وانتشر على وجهه جلال المنية ولم تمض هنيهة حتى فارقته الروح صاعدة الى لقاء ربها الكريم فجثونا على اقدامنا وصلينا من اجله ثم اخرجنا من جيبه محفظة بها بعض الاوراق وساعة ذهبية وحوالة مالية بخمسمائة دولار على مصرف نيويورك ولم يكن لديه غير ذلك فربطناها جميعا في منديل له ووضعناها في جيب معطف مع الرسالة ثم حملناه بين يدي وواريناه مثواه الاخير تحت الامواج المتلاطمة مشيعا اياه بحسرة لا تزال تعاود قلبي حتى اليوم فبكت لوسى بكاء مرا فقد اخذ المنظر المروع بمجامع قلبها كما ذرفت عيني الدموع بشدة

أجل أيها الموت كم أنت قاس (لاقلب لك)، تفرق بين

الاصدقاء والاحباء بلا رحمة ولا شفقة

نعم اننا نحزن على الاموات لاننا لا نريد مفارقتهم فحسب فأي جرح نريد تضميده او أي حزن نهوى ان ننساه نرى انه من الواجب علينا ان ندعه مفتوحا لا يندمل حتى يظل ألمنا داميا وحزننا باقياً على مصابنا الاليم .

فأين هي الام التي تنسى راضية ابنها الراحل وهو الزهرة اليانعة التي اختطفتها المنون من بين يديها ، مع أن كل ذكرى لديها كسهم مريش ينشب في صدرها !

أين الطفل الذي ينسى راضياً ابويه الرحيمين مع ان بقاء ذكراهما في فؤاده موجبا لحزنه وألمه .

من هو الصديق — حتى الذى يشعر بأن الحزن يسحق قلبه سحقا — الذى يستطيع ان ينسى صديقه الذى أعزه وأحبه حباً خالصاً .

كلا ، لا يستطيع أحد ذلك ابداً وكذلك كان حالنا مع هذا الضابط فان حتفه كان لدينا مصدراً لكثير من الامنا في أيامنا المقبلة .

*
* *

لم يبق بيننا وبين الوصول الى الشاطىء غير سحابة نهار تنقشع وترسو حيث الطمأنينة والسلام فأخذت أجهد نفسى فى التجذيف وبمساعدة البوصلة البحرية وارشادات ضابطنا الراحل أمكننا أن نتقدم تقدما محسوسا فى المحيط حتى كدنا نرى بصعوبة بواسطة التلسكوب قمم الجبال القريبة من الشاطىء الامريكى فسرى فى قلوبنا نسيم الفرح وبدت على محيا رفيقى علامات الاطمئنان والهدوء وداومنا نكد فى السير ومن شدة شوقنا الى الوصول حسبنا ان الدقائق لا تمر ، وهب علينا نسيم الماء فتمسمنا أن نصل الى الشاطىء بعد غروب الشمس بساعتين او ثلاثة بمعاونة هذا النسيم وكذلك كنا على وشك الانتهاء من رحلتنا الشاقة .

واذ كان القارب يتقدم في فضاء المحيط رأينا عن بعد بين تجاويف التليسكوب وبين أشعة الشمس الضئيلة طرف فنار الميناء يظهر ويختفي بين الشواطىء القريبة فملئنا الامل على أن يكون ذلك هو فنار نيويورك وأن تكون تلك هى شواطىء

بلاد أمريكا الجميلة وقد قوي فينا الأمل بقرب الوصول ورؤيتنا
للأعشاب وفروع الاشجار المتراكمة هنالك حيث كان تيار الماء
يدفعها أمامه تجاه الشاطىء وبينا كنا نقترب من هذه الحشائش
لاحظنا ان لون الماء قد تغير فجأة وأصبح أكثر زرقة من ذى
قبل كما شعرت كأن قوة أخذت تقاوم المجاذيف بين يدى ثم بدأ
القارب ينحدر سريعاً فى اتجاه التيار وقد ظننت أن فى هذا المكان
دوامة مائية او مثل ذلك فأوجست خيفة الغرق على أنى تشجعت
وأظهرت عدم الاكتراث لكي أشجع رفيقتى ، وتشددت فى
التجذيف ولكن عبثاً حاولت تحويل القارب عن اندفاعه فقد كان
يمرق فى الماء مروق السهم من وتره فتأكدت من وجود تيار
مائى شديد فى هذه الناحية وارتاعت لويس من هذه المباغتة
وأكبت برأسها بين يديها من شدة الجزع وأخيراً طرحت نفسها
فوق سطح القارب ويظهر انها استسلمت الى نوم عميق . وثارت
الريح قليلا اذ ذاك وأخذ الماء يرتفع وينزل رشاشه على وجوهنا
حتى حسبت الموت قد أراد ان يمر منفذه فينا ولكن هدأت
حركة القارب وشعرت كأنه أخذ يسير بنظام فى مجرى معين يشق
ماء هذا المحيط وكانت الشمس قد غربت تماما فصرنا فى ظلام

دامس اللهم الا شعاع ضعيف تبينت فيه بكل صعوبة وجه لوسى وعلمت من حركة أنفاسها أنها بحالة عادية فحمدت الله وكان التعب والجهد نال منى مناله فأسندت رأسى جانب رأسها وسألت الله حفظه ورعايته ثم أغمضت عيناى وسار القارب يتقدم فى مجراه كما شاءت له الاقدار ان يذهب

وحوالى منتصف الليل استفقت من نومى وكان التيار لا يزال مسرعا والقارب مندفعاً معه الا أن أضواء القمر بدأت تسترق مسالكها بين الضباب المتكاثف اذ ذاك فجلست مكانى وملت نحو صديقتى وأيقظتها برفق فأفاقت وقالت :

أين نحن الآن يا رولاند ؟

فهدأت من روعها وطمنتها ومددت يدى نحو زجاجة الكنياك الوحيدة الباقية لدينا فناولتها منها قليلا مع قطعة من بقايا اللحم المثلج وكذلك هدأت من هلعها وأخذت أبشرها وأمنيها بقرب سلامتنا

بعد ذلك بقليل كان كل شىء على ما يرام فلقد أخذ الضوء يزداد كما بدأ الهواء يكون منعشاً على أننا بعد برهة شعرنا بأن الجو أصبح حاراً كما ان الماء صار يتدرج فى الدفء قليلا قليلا حتى

تخيلت أننا فى حمام حار أو قرب احدى مدافىء الشتاء فتأوهت رفيقتى من شدة الحرارة فهونت عليها من أمرها وصبرتها ولكن الحرارة استمرت تزداد لحظة بعد أخرى حتى كادت تخنق أنفاسنا ثم رأينا أبخرة متكاثفة بدأت تعلو وجه الماء بالقرب منا وتكون فوقه سحباً متلبدة ، فعجبت لذلك وساورتنى افكار عديدة خيفة أن نكون قد اقتربنا من بركان ثائر أو شىء من ذلك وهنالك تكون الطامة الكبرى . على انى استبعدت وجود هذا الفرض لأنى درست طبيعة هذه الجهات فلم أعلم مما عرفت بوجود مثل هذه البراكين فى هذه المنطقة وأخيراً تذكرت انه ولابد ان نكون قريبين من مجرى التيار المسمى بتيار الخليج أو اننا قد اجتزنا جزءاً منه فتضرعت الى الله أن ينجينا من مخبآت القدر ويعاوننا على اجتياز تلك المفازة المهلكة ، ثم أسرعت الى المجاذيف واخذت اجذف بهمة اليائس الفار من وجه العدو وحولت القارب تجاه الاضواء المتشعشعة التى كانت تسطع من قمة الفنار القريب واستمر بنا الحال كذلك حتى ما بعد الفجر وقد انتقلنا الى منطقة اكثر هدوءا واعتدالا وقد زالت تلك الحراره التى افحتنا منذ ساعات قليلة وما اشرقت الشمس

حتى رأينا الشاطيء قريبا منا جدا فاضاء في قلبي روح الامل والسرور وقد وجدنا القارب يطفو فوق مياه خليج واسع جميل حيث كانت اشعة الشمس الذهبية تنعكس على مياهها الزرقاء فتكون الوانا جميلة .

حمدت الله وهنأت لوسي بنجاتنا ووصولنا بسلام الى بلاد اميركا . وانه قد انتهيت آلامنا بعد ولم يعد أمامنا ما يرعبنا ويحزننا واخذنا ننظر الى الشاطيء الذى لم يكن يبعد عنا باكثر من الف متر والي ما بجانبه من القوارب الصغيرة وجموع البحارة والناس بشيء من الشوق والسرور . ثم شربنا ما بقي في الزجاجة من الكونياك والتهمنا بقية قطع اللحم وكان الجوع قد طاف حول امعائنا ، ثم اخذنا نصلح في ارتداء ملابسنا وتذكرت كيس نقودى فاخرجته من جيبي وعددت ما به من النقود فوجدتها قطعتين من الذهب الانجليزى وسبع قطع من الدولارات الامريكية ونحو خمسة عشر قطعة فضية من الفرنكات الفرنسية ثم ورقة مالية بمبلغ ثلاثمائة فرنك وهى التى كانت باقية معنا .

شددت ساعدي في التجذيف وأخذ الهواء النقي يجدد من قوتي ولم يحل وقت الزوال حتى بلغنا الشاطيء حيث اتجهت الينا انظار كل الجموع المحتشدة على الرصيف واستمروا ينظرون الينا بدهشة وعجب كأنهم يستفهمون من نحن ؟ ومن اين أتينا ؟ وكيف وصلنا الى هذا المكان . . . ؟



# ١٤

## فى أمريكا

وعند ما وطئت أقدامنا أرض الشاطىء تقدم نحونا بحار هرم وسألنا ان كنا فى حاجة الى خدمة فشكرته لاننا لم يكن لدينا من الامتعة والحقائب شىء فجميعها غرقت مع السفينة، وقبل ان ينصرف تذكرت ان أنوط به حفظ القارب الذى معنا حتي تستلمه شركة البواخر التابعة لها السفينة الغارقة فسألته عن اسمه وأفهمته عن مأموريته فتقبلها شاكراً ووعدته ان أنقده نظير خدمته أجراً كافياً فاستبشر محياه وعاد الى القارب ثم أخذت ذراع رفيقتى فى يمناى وركبنا عربة من رصيف قريب وأمرت السائق ان يذهب بنا الى أقرب مطعم ولم تمض عشر دقائق حتي وصلنا الى مطعم كبير فى الشارع المجاور حيث جلسنا الى مائدة في زاوية منه فلما قدم الينا الخادم قائمة الاطعمة طلبنا منه بضعة اصناف من اللحوم والخضراوات ثم الفواكه والحلوى

وزجاجة من النبيذ . . الخ وفي الحقيقة كانت كمية ماطلبناه عظيمة جداً تكفي لاطعامنا يومين كاملين لا لأكلة واحدة ولكن الجوع القاتل كان صمم على تمزيق أحشائنا فلم نكن نستطيع ان نفدي امعاءنا بأقل من هذا الغذاء وخصوصاً بعد ان مضى علينا نحو ثلاثة ايام ونحن لا نتناول من الطعام الا بقدر ما يتناول المريض من الدواء وبلغ ثمن ما أكلناه نحو ثلاثة دولارات ونصف وهو طبعاً ثمن غال بالنسبة لما لدينا من النقود القليلة على اننا تسامحنا لبطوننا في هذه الاكلة وخصوصاً بعد تلك الرحلة الشاقة وعزمنا على ان لا نعود الى مثلها حتى نصبح في سعة من العيش .

كان همنا بعد ذلك ان نجد فندقاً نبيت فيه ، لذلك ناديت سائق عربة وسألته عن أسماء بعض الفنادق التي بالمدينة فعد لي منها الشيء الكثير . واخيراً طلبت منه ان يدلنا الى فندق لا يتقاضى منا أكثر من دولار واحد في اليوم عن الاثنين ، فألهب الخيل بسوطه وأخذت عجلات العربة تلف دورات سريعة ثم وقف بنا فجأة بعد نحو نصف ساعة أمام فندق اسمه « نيوانجلاندهوتل » فلما نزلنا أنقدناه أجره ثم صعدنا الى أعلى الفندق حيث قابلنا

مديره فحجز لنا حجرتين من داخل بعضهما بسريرين والفندق
على العموم نظيف وأثاثه متوسط في الجودة وان يكن جميلا في
الشكل وهو يقع في وسط المدينة تقريباً

بعد ان تسلمنا غرفتينا فكرنا في خلع ملابسنا ولكن
تذكرنا انه ليس معنا غيرها ولذلك قصدنا تواً محلا تجارياً في نفس
الشارع الذي به الفندق فاشترينا ما رأيناه ضروريا جداً لنا من
الأردية وقد كلفنا ثمنها قيمة القطعتين الذهبيتين الانجليزيتين
اللتين كانتا معي ، ثم عدنا الى الفندق فأبدلنا ملابسنا ، ولما كان
التعب والنصب قد نال منا مناله فاننا رأينا عندئذ ان نريح
أجسامنا بقية هذا اليوم وكانت الساعة اذ ذاك في منتصف
الرابعة ولم يمض قليل حتى غرقنا في سبات عميق . .

أشرقت الشمس وملأت بأضوائها أرجاء الفضاء عندما
فتحت جفني فرأيت اسلاكها الذهبية تطل من نافذة حجرتي
وكانت الساعة اذ ذاك في منتصف الثامنة صباحا ، فدخلت الى
حجرة صديقي فوجدتها لاتزال نائمة فلم أشأ ان أقلقها وناديت
الخادم وأمرته ان يشتري لي صحيفة « نيويورك جورنال » فأحضرها
وجلست الي كرسي « فوتيل » ومكثت أقلب صفحاتها برهة

فلفت نظري العنوان الآتي :

## « آثار الفاجعة »

« أتينا أول أمس على أخبار غرق السفينة « بون فوياج » بواسطة ثلاجة هائلة وقد نجا جميع الركاب والبحارة ماعدا عشرين رجلا وثلاثة عشر سيدة وثمانية أطفال وخمسة من البحارة ، على أنه قد تحقق اليوم أنه كان بين من نزلوا الى قوارب النجاة المستر « كلايتون » وهو أحد ضباط الاسطول الكندي سابقا ثم شاب فرنسي اسمه « رولاند أديمون » وفتاة معه اسمها « لوسي دارتوى » هذا ولم يعلم اذا كانوا ضلوا عن بقية القوارب بين الضباب المتكاثف أو ان الامواج الثائرة قد قلبت بهم القارب فاستشهدوا ضمن رفاقهم الأول »

وقفت عند هذا النبأ برهة مرت فيها على شفتي ابتسامة لم تلبث أن تلاشت بين طيات الحزن الذي ملأ قلبي لذكري ضابطنا الراحل . ثم مرت بخاطري فكرة لم أستطع الفصل فيها بسرعة وهي هل أكتب الى ادارة تحرير هذه الجريدة عن تفصيل الخبر وماتم لنا في هذه الرحلة المنكودة ، أو أهمل المسألة ، على

اني أخيرا رأيت ارجاء البت في الموضوع الى ما بعد مقابلتنا المسز كلاتيون وتسليمها رسالة قرينها

استيقظت لوسى وأقبلت على من حجرتها فرأت الصحيفة بين يدى انظر اليها بسكون على غير عادتى فاندهشت وقالت : ماذا بالصحيفة قد استفرغ منك كل هذا الاهتمام فأطلعتها على الخبر فتأوهت وقالت : يجب ان نزور اسرة الضابط اليوم أليس كذلك يارولاند ؟

أجل يالوسى وسيكون ذلك عقب خروجنا

ارتدينا ملابسنا وتناولنا طعام الافطار ثم قصدنا منزل الضابط وقد توفقنا اليه بعد سير نحو نصف ساعة من الفندق سرناها على اقدامنا خلنا فيها اننا نسير بين شوارع احدى المدن التى نقرأ عنها في أساطير الاولين وخرافات المتقدمين .

أن مدينة نيويورك مدينة عجيبة مدهشة تشاهد في شوارعها الفخمة جميع الاجناس من جميع الامم تسير في طريق واحد ، ترى على جانبيك وانت سائر بنايات هائلة ترتفع الى السماء تناطح السحب بقممها الشامخة وتدك الغبراء بأقدامها الى اغوار بعيدة فنها مايتدرج صاعداً سبعين او ثمانين دوراً من الدور الواسعة الجميلة

وتنخفض نازلة ثمانية أو عشرة ادوار فى باطن الارض. تقف تشهد حركة احدى الشوارع فترى مايبهرك من حركة الاعمال المدهشة. تجد طرق المواصلات فوق الارض وتحتهـا وفوق الشوارع على جسور واعمدة تمتد عليها خطوط عريضة واجمل من هذا نظافة الشوارع التى لايحتاج معها الانسان الى تنظيف حذائه او ملابسه حتى ولو سار فيها من الصباح الى المساء ، ثم ترى العربات والسيارات سائرة امامك وبجانبك وانت لاتسمع لها صوتا لان ارض هذه الشوارع الجميلة مصنوعة من الخشب المطلى بالقار فلاتحدث ادنى حركة او ضجيج ثم ترى الناس مسرعين فى خطواتهم منهمكين فى اعمالهم وكذلك بدا لى الامريكان لاول وهلة امة غريبة مدهشة .

وصلنا المنزل وسألنا عن مسز كلاتيون فوجدناها بغرفتها وبينما كنا نصعد على السلالم كنت افكر كيف ابدأها الحديث والقى عليها خبر نهاية زوجها المحزنة على ان تفكيرى قد انقطع فجأة اذ قابلتنا السيدة على باب غرفة الاستقبال ، وهي سيدة طافحة المحيا في سن الخامسة والثلاثين تقريباً ذات قوام بديع وذات خلقة جميلة حييناها فردت التحية بأحسن منها ثم دخلنا وجلسنا معاً

فبدأت الحديث وقالت : يبدو عليكما انكما قادمين من سفر طويل او رحلة بعيدة فأن آثار التعب والنصب لا تزال تظهر على وجهيكما !

• فأجبتها :

اجل ، وصلنا امس من وطننا فرنسا .. من باريس

من فرنسا نفسها ؟

نعم ، هل بها ما يهمك ياسيدتي ؟

فتأوهت وقالت :

لقد كان زوجي هنالك منذ شهرين ثم ابحر الى لندن فليفربول وقد عاد بين ركاب تلك الباخرة التعيسة « بون فوياج » وما وصلت هذه النقطة حتى لم تمالك عواطفها فذرفت عيناها الدموع وقد بح صوتها وتنهدت وقالت ، واظنه قد استشهد بين الامواج فهو وأنه كان ضمن الذين ركبوا قوارب النجاة الا انه كما اذاعت اليوم صحيفة « نيويورك جورنال » اختفى مع شاب وفتاة فرنسيين ؟ ؟ وهنا توقفت لحظة وتفرست في وجهينا ثم استطردت الحديث ولكن العبرات قد قطعته عليها . . . .

وفي هذه الساعة لم تستطع « لوسى » الثبات بل ازرقت

الدموع ايضاً وبكت بكاء مراً وكذلك تحركت شفتاي عن تأوه عميق ثم انحدرت من جفني دمعة حارة كبيرة ، فاسترعى هذا المنظر منا اهتمام السيدة فقالت

هل كان لكما ياصديقي قريب او رفيق بهذه الباخرة ؟

كلا

اذن فلماذا اراكما تبكيان او هل تبكيان من أجلي ؟ يظهر أن نفسيكما تفيضان بالرحمة والعطف لذكرى البؤساء المنكوبين

فأجبتها وقد رأيت أن هذه هي أحسن فرصة لأطلاعها على جلية الأمر نعم ياسيدتي لقد كنا نحن الشاب والفتاة اللذين قرأت عنهما في الصحف رفقة زوجك المحبوب وصديقنا الحميم في رحلتنا وهنا انتفضت قليلا واعتدلت في مكانها وقد وجهت الينا كل اهتمامها وأصغت الينا اصغاء تاما — ولقد كان له علينا أجل فضل واسمى معاونة مما لا ننساه له أبدا أمد حياتنا وفي مماتنا ، فهو الذي أنقذ حياة صديقتي «لوسي» من الغرق وكان في انقاذها نجاة لي ايضا من الموت المحقق وبذلك كان له فضل بقائنا احياء في هذا العالم ثم سردت لها حكايتنا منذ ساعة غرق السفينة حتى وصولنا في قارب النجاة الى الشاطيء وكانت تارة تتألم وتارة تدهش في حين

آن عبراتها كانت مستمرة الانسكاب وعند نهاية حديثي أخرجت لها رسالة زوجها من جيبي مع المنديل بما فيه وما وقع نظرها على الرسالة حتى تناولتها بتلهف وفضتها في الحال ثم قرأت : —

عزيزتي مرغريت

أكتب اليك وهزات الحمى ترعش جسمي ورسول الموت يتقدم بي نحو السماء ، لقد مضى على أكثر من اثني عشرة ساعة وأنا أعاني من شدة المرض ما أعانيه لايخفف عني ألمي غير ثقتي في الله وغير دموع رفيق الذين كانا يواسياني ويقاسماني شدتي ، مرغريت لقد كنت اود أن أراك بجانبي في ساعتي الاخيرة ولكن حال القضاء دون ذلك فشكرا الله ان هيأ لي لوسي بجانبي تصلي من أجلي وتنتحب وتبكي على كما هيأ لي من رولاند صديقا مخلصا يشجعني ويقوي من عزمي ويصبرني على مصابي .

آواه إني أراني لن أعيش حتى اكافئهما على هذا الجميل فاوصيك بهما خيرا اذا كان لك حظ في رؤيتهما وأني ادعو الله أن يصلا الى امريكا المحبوبة سالمين :

مرغريت

لقد عفوت عنك في كل ما تحسبينه انك اسأت الي فيه وعلم

الله انك لم تسيء الى في يوم من ايام حياتي فامنحيني انت عفوك ومغفرتك ونضرعي اسماء الرحمة ان تدر علي بغيثها ، واني اوصيك بابنتيناه جاك وماري ، خيراً فكوني لهما اماً وابا بدل ان كنت لهما اماً فقط ، واذكري لهما دائما اني كنت احبهما حبا عظيما واني ما آثرت فراقهما ، وانما ناداني المولى الى جواره فلبيت نداءه .

الوداع يامرغريت ، الوداع يااحب الناس الي ، انني افارق الحياة وانت آخر من افكر فيه ، وكل ما آسف عليه ، فاذكريني دائما بالرحمة والاحسان وان اردت مخاطبتي او حديثي فمليك بشاطيء البحر واسألي الامواج والمياه ان تلقي الي برسائلك حيث مثواي الاخير في صميم اليم حيث السكينة والخلود .

الوداع يامرغريت وآخر كلمة اقولها لك ان تتعهدي ولدينا بالشفقة وان تحسني اليهما في حياتك خيرا ؟

كلايتون

لم تكد مسز كلايتون ان تأتي على آخر الرسالة حتى شهقت شهقة الميت خلت ان فيها نفسها الاخير ثم تشنجت اعصابها وتاهت بين حالة اغماء شديد ، فأسرعت نحوها الاولوسي وناديت الخادم فاحضر الينا بعض الماء والروائح واسعفناها وبعد ربع ساعة اخذت

تستفيق من اغمائها وكان قد اخذ منها العناء مأخذه فأشرنا عليها بأن تستريح قليلا في فراشها ثم ودعناها وخرجنا بعد ان واسيناها وعزيناها في مصابها

بعد ان خرجنا من منزل مسز كلايتون قصدنا احد المصارف فاستبدلنا منه كل ما معنا من العملة الاجنبية واستلمنا بدلها نحو ستين دولارا امريكيا عزمنا على ان نصرف منها باقتصاد تام وأن لا ننصرفها في اقل من ثلاثة اسابيع حتى نجد لنا عملا والا فتسوء حالنا متى نفذت منا النقود ولم نكن توفقنا الى عمل نرتزق منه .

لذلك كان اهم صعوبة تعترضنا الآن هي ان نجد عملا في خلال اسبوعين على الاكثر ولهذا اشارت لوسي بأن نتوجه الى ادارة احدى الصحف الشهيرة وننشر فيها اعلانا لنا فأجبتها بالرضاء والموافقة ثم قالت :

ولكن ألست تستحسن أن نقصد ادارة نيويرك جورنال فنكتب لها تفصيلا عن خبر أختفائنا الذي أشاعته اليوم تحت عنوان « آثار الفاجعة » ؟ حتى اذا ما وصفنا تلك الحوادث المروعة والمشاق التي لاقيناها في رحلتنا عطفت علينا قلوب اصحاب الاعمال فيتيسر لنا بذلك ايجاد عمل في وقت قريب ! ؟

نعم ، يالوسى ، ان رأيك صواب وقد خطرت لي هذه الفكرة في الصباح على أنى اجلت البت فيها الى ما بعد زيارتنا لمسز كلايتون والآن حيث انك معى عند هذا الراى فلنذهب توا قبل ان تبلغ الساعة الواحدة .

وصلنا ادارة الجريدة حيث قابلنا رئيس التحرير وهو رجل ممتلىء الجسم لطيف الحديث ولكنه كثير الكلام نوعا ما فقصصنا عليه حكايتنا وقد تأثر منها كثيرا وبدت على محياه علائم العطف والشفقة ثم طلبت اليه ان يعلن عنا بأننا في حاجة للاشتغال ببعض الاعمال وقد افهمته انى حامل لشهادة الدكتوراه في علوم الحقوق والعلوم الاقتصاديه وانى اجيد اللغة الفرنسيه والانجليزيه والالمانيه وان لوسى تجيد ايضا اللغتين الاول وحامله لشهادة الليسانس في الآداب الفرنساوية ولها دراية تامة بالاشتغال على الآلة الكاتبة وفن التمريض وقد سبق لها مزاولة هذا العمل بمستشفى باريس ، وبعد ان شرحنا له كل المعلومات التي طلبها واعطيناه عنوان اقامتنا بفندق « بنوا انجلاند » عرضنا عليه ان ندفع بعض النقود مقابل الاعلان فأبى وابدى استعداده لمعاونتنا من صميم قلبه ، فشكرناه وخرجنا وكانت الساعة اذ ذاك في منتصف الواحدة تماما .

بعد ذلك قصدنا مطعماً حيث تناولنا غداءنا ثم عدنا الى الفندق وفي المساء اشترينا جريدة نيويورك جورنال طبعة الساعة الثامنة مساء لان هذه الجريدة تطبع عدة مرات في اليوم فرأينا فيها مقالا ضافيا تحت عنوان ضخم تناول فيه المحرر قصتنا كما القيناها عليه بالحرف الواحد ، وفي نهاية المقال اعلان يشير الى حاجتنا للاشتغال في بعض الاعمال ثم أطنب المحرر المدح في كفاءتنا وقدرتنا

واستحث أصحاب الاعمال على مساعدتنا وفي الحقيقة فان المحرر قد بر بوعده لنا ، وقد رأينا نفس هذا الأعلان في اعداد الصباح جميعها فلم يبق امامنا الا ان ننتظر تلقي دعوتنا للعمل من جهة ما . . . . ؟ !

# ١٥

# في نيويورك

مضى علينا حوالى الاسبوعين ونحن ننتظر ان تصلنا خطابات من بعض الاعمال ولكننا اسوء الحظ لم نتلق ولو دعوة لأحدنا فسبب ذلك لنا القلق وأضعف أملنا في إيجاد عمل ما وبينما كنا نفكر في المستقبل المجهول الذى ينتظرنا والمشاق التى ستلاقينا فى الايام المقبلة بعد نفاد الفضلة الباقية من المال وقد بدأت الهواجس تحتاطنا وتصورلنا المستقبل بصورة بشعة مشوهة واذابنا وقد جلسنا في غرفتى واواجمين نتدبر فى امرنا أذطرق الباب الخادم وبيده خطاب كان معنونا باسمي فقدمه الي وفضضته واذا فيه :

المصرف الفرنسي الامريكي

نمرة ٥ شارع نيويورك

جناب المسيو رولاند ادمون

قرانا الاعلان الذي نشرته صحيفة نيو يورك جورنال باسمكم واسم صديقتكم باعداديوم ٢٠ اغسطس الذي ابديتم فيه رغبتكم للاشتغال وحيث ان لدينا أعمالا لكما فالرجا مقابلتنا غدا الساعه العاشره صباحا لمفاوضتكم في ذلك ؟

مدير المصرف

بويون

ما كدت افرغ من تلاوة الخطاب حتي ابتسمت ابتسامة الظفر ثم هنأت لوسى بقرب انفراج الازمة وقد لاحظت ان سحابة الكآبة التي كانت تظل وجهها منذ هنيهة قد ذهبت وفي الحقيقة فأننا قد سررنا غاية السرور لسنوح مثل هذه الفرصة لان اعمال المصارف على العموم وان تكن في غالب الاحيان معقده ومجهدة للفكر الا انى أفضلها على الاشتغال بمحل تجاري او بمكتب محاماه او غير ذلك ، وكان سروري اكثر واتم عندما وجدت ان الظروف قد هيأت لى انا ولوسى الاشتغال في مكان واحد وهذا مالم نكن نحلم به

توجهنا في الصباح الي المصرف حيث قابلنا مديره وقد اتفقنا معه على ان تشتغل لوسى على الآلة الكاتبة نظير اجر اسبوعي

يبلغ عشرة دولارات وأنا أشتغل بفرع الاوراق المالية نظير أجر اسبوعى يبلغ خمسا وعشرين دولارا وقد حررنا عقداً بذلك لمدة عام يبتدىء من أول يوليو أى فى اليوم التالى لغد اليوم الذى وقعنا فيه العقد .

الآن أصبح لدينا دخلا يبلغ ٣٥ دولارا في الاسبوع فكفلنا به لأنفسنا عيشا رضياً بل أن هذا الدخل نستطيع أن نقتصد منه خمسة عشر دولارا فى الاسبوع فلا يمض العام الذي تعاقدنا عليه حتى يتوفر لدينا نحو ثمانمائة دولار وهو مبلغ ليس بالقليل في بلاد أمريكا نستطيع أن نستثمره وننال من ورائه أرباحا لا يستهان بها . ولقد كان البت فى أمرنا على هذا الحال من دواعى بهجتنا فقضينا طول اليوم فى غبطة كما أمضينا اليوم التالى وهو اليوم الوحيد الباقى من أيام بطالتنا في سرور وأخذنا نتم فيه جولاتنا فى شوارع المدينة ونتعرف بعجائبها ، فكان من أعجب معجزات هذه المدينة التى رأيناها فى ذلك اليوم هي جسر بروكلن .

يقف الانسان على ذلك الجسر المعلق الممتد فوق الماء فيرى المركبات والسيارات تسير في طريق واحد ويجد فوقها عربات

الترام ويبصر فوقه قطار سكة الحديد واذا نظر الى أسفل شاهد السفن الكبيرة تمخر عباب الماء ثم يجد تحت الماء أيضاً نفقاً عظيماً تسير فيه سكك الحديد ومما يدعو الى الاستغراب انه مع كثرة هذه المواصلات في المدينة فانك ترى دائماً المركبات مزدحمة بالركاب ولا فراغ فيها

أن أمة أمريكا هي الامة الوحيدة التي ترى في بلادها روح المساواة والاخاء والعدالة قد بلغت أقصاها فالكل متساوون أمام الحاكم والرئيس والقاضي في كل مكان ، وكذلك كانت المساواة والحرية والاخاء من مزايا هذا الشعب المختلط من جميع العالم الذي تمكن في سنين معدودة أن يكون شعباً مستقلا بذاته وقوميته

ان الايام القلائل التي قضيتها في نيويورك منذ وصولنا الى الشاطىء اظهرت لي كثيراً من مزايا الامريكان وعجائبهم ولذا كانت أمتهم لدي أمة جديرة بالاكبار والاعجاب ، فهي الامة الوحيدة التي ترى افرادها جميعاً تعمل بدون استثناء ، لا تعرف منهم عاطلا لا يتكسب أو سائلا يستعطي ، الجميع يشتغل ويجد ، تسير في

الشارع فتراهم مسرعين في سيرهم لاتستطيع أن تكلم أحدهم لأنه لايقف ليسمع حديثك بل انه لو اصطدم بك أو صدمته في أثناء الطريق لايقف ليعتذر اليك أو ليسمع اعتذارك اذ أنه يرى أن هذه امور فارغة مضيعة للوقت الذي هو أثمن من كل شيء

ان الامريكي وحده هو الذي يستطيع ان يفهم معنى الوقت وقيمته ، لذلك فهو لايبذل دقيقة واحدة منه ، تراه يقرأ الجرائد وهو سائر في الطريق أو راكباً عربات الترام وكم دهشنا مرة أنا ولوسي وقد دخلنا مطعما من مطاعم أهل الاعمال من رجال ونساء فوجدنا أنه ليس به خادم ما بل أن من يريد أن يأكل يتقدم بنفسه فيشتري كل مايريد دفعة واحدة ثم يجلس الى مائدة ليأكله ويخدم نفسه بنفسه

وهكذا فأنك تمشي في مدينة نيويورك فتندهش من الحركة التجارية القائمة فيها ، ترى الشعب بأجمعه من نساء ورجال شبان وكهول يتسارعون ويركضون ساعين وراء أعمالهم الكثيرة

ان أهل نيويورك وحدهم هم الذين يعتبرون الليل كالنهار

فالاعمال سائرة باستمرار واليوم منقسم عندهم الى ٢٤ ساعة الثانية تلي الاولى وهكذا فيقولون الساعة ١٤ او ١٥ وكذلك تجدهم يستعملون ساعات سائرة بهذا النظام كما ترى فيهم ملايين العمال وقد اصبحوا يستغربون ضوء الشمس بل ويتألمون منه . لأنهم قد اعتادوا على ضوء الكهرباء ، نصف الاهالي ينامون بالليل والنصف الآخر ينام النهار كله من شروق الشمس الى غروبها وهؤلاء هم الذين يتناولون الاعمال بالليل ، لانها طبعاً تظل سائرة في الليل كما في النهار . وكذلك تدهش ايضاً عندما تعلم ان نصف السكان يعيش تحت الارض والنصف الآخر فوقها تبعاً لنظام مساكنها واعمالها .

ان امريكا عظيمة جداً ومملوءة بالغرائب والمدهشات ، ترى فيها الصحف تطبع عدة مرات في اليوم فمثلا تشترى صحيفة فترى انها الطبعة الثامنة أو العاشرة وكذلك فالصحافة لها نفوذ عظيم في البلاد وجميع الشعب يقرؤها لانهم جميعاً يجيدون القراءة والكتابة وعدا ذلك فالاثمان رخيصة جداً فلا تباع أكبر صحيفة منها بأكثر من مليم واحد ومن الغريب انه يكون بها عادة ورق قيمته اضعاف الثمن الذى تباع به .

١١٧

ان الشعب الامريكي هو الامة الوحيدة التي لاتاريخ لها ، وهو الامة التي لاماضي لها ولكنها اليوم تكون ماضياً مجيداً لمستقبلها ، سيكون المثل المضروب لدى جميع شعوب العالم



# ١٦
# الى واشنجطون

كانت الشهور القليلة الماضية التي قضيتها مع « لوسى » بمدينة نيويورك هى صحيفة مجيدة من حياة غرامنا ، هى صحيفة نقدسها ونجلها لأننا تساقينا فيها كؤوس الحب التى كان فيها شفاء لقلوبنا وتضميداً لجروح أفئدتنا الدامية منذ اعوام ، أجل انها سطر من السطور التى خطتها أيدى الآلهة على صفحة السعادة والنعيم .

فى يوم ١٠ نوفمبر . . ورد على مدير مصرفنا رسالة من فرعه بمدينة واشنجطون يطلب فيها اليه تعيين موظف ليرأس قسم الاوراق المالية وهو الذى ستخلو وظيفته فى منتصف الشهر الجارى .

طلب مدير المصرف مقابلتى فى نفس اليوم وعرض على الخطاب وقال ان ثقتى فى عملك وكفاءتك التي أبديتها لنا فى خلال

الشهور الماضية تدعونى الى اختيارك للقيام بهذه المهمة الكبيرة التي لا أحب ان يديرها غيرك وانى نظير انتقالك ساوفع مرتبك الى الضعف اي الى خمسين دولاراً في الاسبوع ومع ذلك فانه عكنك ان تعود الى عملك هنا بعد انتهاء السنة المالية الحالية اى بعد شهر ابريل القادم وان رضيت المقام هنالك بعد هذه المدة فذلك ماتوده ، هذا ماحببت أن أعرضه عليك اليوم يامسيو رولاند وأني اتمشم أن تجيب بالقبول وسأعطيك مهلة التفكير فى أمرك الى الغد فان وافقت على السفر الى واشنجطون فكن على أهبة الرحيل اليها فى يوم ١٤ الجارى على الاكثر .

انصرفت من حجرة المدير بعد ما أتم حديثه ثم عرضت المسالة على لوسى بعد انتهاء عملنا اليومى ونظرت اليها وقلت :

أني لا أستطيع فراقك يالوسى ولذا فانى لايسعنى الا الرفض

فاومات قليلا وقد تمشت على جبينها سحابة الحزن وقالت:

كيف ترفض الست تذكر نصوص العقد الماخوذ عليك وفيه أن المصرف الحق فى انتدابك للسفر الى أى فرع من فروعه فى خلال مدة تعاقدك وعليه أن يدفع نظير ذلك تعويض انتقال ؟ !

وأن كان المدير اليوم أمهلك فى التفكير فا ذلك الا كرماوأدبامنه

والا فان له الحق في تبليغك مأمورية انتدابك بأمر بات ؟

أجل ، ولكن . . .

ولكن ماذا ؟

هل نفترق ؟

اذن وما العمل ؟

احدنا يعتزل العمل ويرافق أخيه !

كلا ، يا رولاند ، انى لا أرتضى لك ولا لنفسى هذا الامر ، انك يوم ان وقعت على عقد العمل كنت قابلا كل نصوصه راضياً بها فوفاؤها اصبح ديناً فى ذمتك تؤديه ، او وعداً صريحاً عليك ان تفى به فهل ترتضى ذمتك ان لا تؤدى الدين او يسمح لك شرفك أن لا تفى بالوعد ؟ فى حين انك قادر على القيام به ! وفوق ذلك فمن تريد منا أن يكون عالة على أخيه فيترك عمله ؟

انى لا أنكر انى سأتألم لفراقك بل انى متألمة الآن وحزينة جداً ولكنى سوف أتحمل كل ذلك فى سبيل الواجب ، فلتتحمل أنت أكثر منى ، ولتتغلب لديك عاطفة الشرف على كل عاطفة أخرى فارجع الى نفسك يارولاند ولا تزري بوعدك

أمام مدير المصرف وهو الذى يثق فيك كل هذه الثقة التي جعلته يلح عليك في السفر .

اذن فماذا تقولين ؟

السفر

اذا كان هذا يرضيك فانى سأفعل .

وكذلك قد قر الرأى على سفري وفى الصباح قابلت المدير وأبلغته بما تم عليه عزمى فابتهج لقبولى وصرف لى اذناً مالياً بخمسين دولاراً مصاريف انتقال . .

في صبح يوم ١٤ نوفبر كنت أرى من بعيد منديل لوسى الابيض وهى تلوح لى به والقطار سائر نحو مدينة واشنجطون فأخذت أردد لها تحياتها بمنديلى انا الاخر حتى اختفت عن بصرى فتملكنى شعور الأسى والألم لفراقها فاستودعتها الله وتضرعت اليه ان يرعاها بعنايته . ثم جلست فى مكانى بالقطار مهموماً كئيباً وأردت ان أسرى عن نفسى بعض آلامى فتناولت من حقيبة سفرى كتاباً تاريخياً استحضرته معى لأمضى فيه بعض اوقات فراغى واسم هذا الكتاب « اسرار الدنيا الجديدة » وهو يتناول كثيراً من اقاصيص القارة الامريكية وشيئاً من تاريخها

ويكاد يكون جميع ما فيه حديثا لا يتجاوز عمره الثلاثمائة او الاربعمائة عام ، اى منذ اكتشاف هذه البلاد اللهم الا بلاد المكسيك وبيرو فانه أتى فى تاريخها على عهد ابعد من هذا التاريخ لانه كان لهاتين المملكتين ماض مجيد وحضارة سالفة ولقد لذ لى ان أقرأ كل ما كتبه المؤلف عن تاريخ هذه المدينة الغابرة ، على ان ما استلفت نظرى واستجمع لى فى اثناء قراءتى فقرة تتناول نحو ثلاث صفحات من الكتاب من صحيفة ١٣٩ الى ١٤٢ ، قرأت فيها عن المكسيك ما يأتى .

ان البلاد التى يطلق عليها اسم المكسيك ، وهي تلك الهضبة المرتفعة الواسعة المساحة كانت بلادا لها تاريخ مجيد وعظمة قديمة فقد كانت البلاد الوحيدة ذات المدنية فى قارة امريكا الشمالية وكانت مدنيتها تشبه مدنية القدماء المصريين اصحاب مدنيات العالم الاولى ، يدل على ذلك مبانيهم الفخمة وآثار معابدهم وكتاباتهم التاريخيه ونقوشهم التى تشبه الكتابة الهيرو غليفيه

وليس بغريب على هذه البلاد التى هي أغنى بلاد معدنية فى العالم بعد الولايات المتحدة أن تكون فيما سلف قد بلغت من الحضاره شأوا عظيما ، فهى لا تزال تستخرج من مناجمها حتى

اليوم معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والفحم والزئبق . .

ولقد كانت هذه البلاد عند اكتشاف الدنيا الجديدة ذات شهرة عظيمة رن صداها فى آذان الاسبانيين الذين كانوا بجزائر كوبا اذ ذاك وقد بلغهم أنه يوجد فى أواسط البلاد الامريكية مملكة فيها من الذهب والفضة مالا يدخل تحت حصر فسيروا اليها فى عام ١٥١٩م حملة صغيرة افتتحها بقيادة « كرتيز » مؤلفة من نحو خمسمائة رجل وستة عشر فارسا فذعر اهالى المكسيك من مدافع الاسبانيين وخيولهم التى لم يكونوا يعرفونها من قبل وكذلك استولى الاسبانيون على البلاد بدون مقاومة .

وقد كان يحكم المكسيك فى ذلك الوقت ملك اسمه « منتزوما » من قبيلة تدعى « الازانقة » وكان ذو جاه عظيم وثروة طائلة فلما تحقق من وقوع هزيمته ووقوع بلاده تحت نير العدو المهاجم جمع نفائس قصره ومملكته وأمواله وجواهره وهى تقدر بالملايين من الجنيهات وخبأها فى احد المعابد الخفية على أمل حفظها للمستقبل ولكنه لم يلبث ان سقط بين قبضة الاعداء فنكلوا به وقتلوه شر قتلة ، على أن هذه النفائس والاموال العظيمة لم يعثر عليها بعد

والمعروف أن سرها كان عند رئيس كهنة الملك وبعض القسس وهم كانوا جميعا من عبدة الشمس وكانوا مخلصين منتهى الاخلاص للملك فلم يبوحوا بسر دفائنهم مع ما نالهم من التعذيب المر على أنهم يؤكدون الآن أن هذه التحف والخبايا لا تزال باقية في المكان الذى أخفيت فيه ويقولون ان المعبد او الهيكل المزعوم ان به هذه الاموال هو فى نقطة متوسطة بين خرائب تلك الاطلال التي يراها السائح الآن حول مدينة مكسيكو وهى مؤسسة على انقاض عاصمة مملكة الازتيك القديمة اى مملكة الازانقة ، ولقد كان يدور بخلد بعض الاثريين فكرة التنقيب عن هذا الكنز العظيم ولكن لم يتقدم احد بعد لاخراج هذه الفكرة الجميلة الى حيز الوجود ولا ينقص الباحث فى هذه الاطلال غير المال ثم الصبر والاناة »

قرات هذه الفقر وقد شعرت انها نالت منى اهتماما يذكر فاخذت افكر فى صحة وجود مثل هذه الآثار الغالية والكنوز الثمينة وقد تاقت نفسى الى الوقوف على اسرار هذه الخفايا الغامضة على ان بصرى لم يلبث أن وقع على الجملة الاخيرة وهى ولا ينقص الباحث

فطويت الكتاب ووضعته في حقيبتي لأن المشروع قد اصبح طبعاً خارج مقدرتي مادمت عديم المال

ثم وقفت اطل من النافذة على حقول الغلال الواسعة التي كانت على جانبي الخط الحديدي ومراعي الماشية الناضرة حيث كانت تمرح فيها الماشية والسائمة . . .

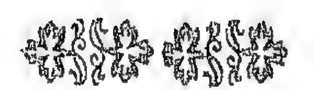
وكان القطار قد وصل اذ ذاك الى محطة فيلادلفيا وهي مدينة جميلة ذات مناظر خلابة وخاصة مناظر تلك الشلالات القريبة منها والواقعة عند ملتقى نهر سكوكيل بنهر دلور

ولقد ساعدتها مرافئها الجميلة على ان تصبح ثغراً عظيماً ومدينة صناعية هائلة ، تشمخ من وسطها مداخن عالية تلبد الجو بسحب كثيفة من الدخان .

وكانت اهم مدينة مر بها القطار بعد فلادلفيا قبل وصولنا واشنجطون هي ثغر بليتمور وهو ذلك الثغر الجميل الذي يبدو لي من ازدحام سكانه وكثرتهم انه مركز تجاري عظيم .

ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا القطار يرسل بصفيره اصوات التحية الى عاصمة البلاد وقد اخذ يخفف سيره قليلا

قليلا فأخذ المسافرون يحزمون جرائدهم وكتبهم التي كانت بأيديهم ويتهيأون للنزول وكذلك وصلت واشتعلوا وكان الجو مدهشا ...



# ١٧

## الرسائل

مدينة واشنجطون مدينة جميلة ليست لها شهرة خاصة غير انها العاصمة السياسية للبلاد الامريكية ، لذا يؤمها كثير من كبار الولايات واشرافها ، لذا ترى على جوانب شوارعها الكبيرة المتسعة مبان ضخمة وعمارات هائلة تسترعى بصرك من بينها الدار البيضاء حيث مركز رياسة الولايات المتحده ثم دار الكابتيول حيث يجتمع مجلس الشيوخ والنواب

ولقد عشت في هذه المدينة في الستة شهور التى قضيتها بها عيشة هادئة ناعمة ولم يكن يقلق راحتى فى غضون هذه المدة غير ذكرى رفيقتى لوسى وشوقى لرؤيتها الذى كاد يفتت كبدي الحرى بحبها ، ولم يكن يخفف عنى بعض هذا الالم غير الرسائل التي كنا نتبادلها من حين الى حين فكنت اقرؤها مراراً حتى ليخال لمن يري رسالة منها انها سطرت منذ اعوام فهى بالية عتيقة مضت

عليها السنين والاحقاب ، وانه لمن دواعي الاسف ان بسبب تكرار تلاوة هذه الرسائل القيمة محو كثير من سطورها مما يحول بيني وبين اثباتها في هذه المذكرات بين الرسائل التالية

---

## ١

## من رولاند الى لوسى

عزيزتى لوسى

وصلت امس الى مدينة واشنجطون وما كان اشغلنى عن بهائها وحسنها لأن ما بنفسى من ألم فراقك قد شغلني عن كل شىء سواك آه ، تبا للانسان ما أظلمه ؛ فقد ظلمت نفسى أن رضخت لقولك في السفر وخضعت لسلطان غرامك في قبول النأى عنك ولو كنت أدرى ماسأعانيه من الألم المبرح والشوق القاتل لرؤيتك لكان لى شأن آخر اليوم ، حقا يالوسى أنك لو تعلمين اى نار ترعى قلبي اليوم وأي لهيب يتقد باحشائي الساعة لكنت أشفقت على ولما أشرت على بالرحيل ، آواه ، ما أقسى الايام وما أشد آلام الفراق !

سأقضي هذه الليلة وحيداً كما قضيت التي قبلها وليس لي سلوى او عزاء غير التفكير فيك مرة او النظر الى رسمك الجميل مرة أخرى . أني أرى الساعات طويلة مملة وكأنها لا تتقدم وأنما هي تتأخر لتزيد في شقائي وتعبث براحتي . بودي لو أمضي كل وقتي في الكتابة اليك ، اذ لست أجد وأنا بعيد عنك لذة أحلى من التفكير فيك والتمتع بمناجاتك والتساهر الى طيفك ، والاصغاء الى دقات قلبي وهي تردد اسمك وتتغنى بغرامك . أجل يالوسي أنك تملأين حولك كل شيء ، يهب على النسيم العليل فأحسبه أنفاسك العطرة وأنظر الى الازهار فأخالها تبتسم أليك ، ثم أرى أضواء الشمس فتذكرني بأنوار وجهك الساطعة وأمر بالجداول فاذكر قطرات دموعي الجارية وكذلك فأنت تتمثلين لي في كل ما يحوطني من مناظر الطبيعة الخلابة .

ماذا عساني أن أقول غير أني احبك يالوسي وأني اتنفس الصعداء كلما مرت بي ساعة فامحو بها سطرا من صفحة فراقنا الذى أراه طويلا مملا ، فهل صليت من أجلنا يالوسي ودعوت الله أن يقرب من أيام لقائنا لأن دعواتك طاهره فهي تنفذ الى السماء لانهـا صوت من وحى الله ونغمة من نغمات الملائكة .

كم أنا أريد أن أكتب لك ولكن القلم يهوى من بين أناملى عاجزا ضعيفا لا يستطيع أن يجد من بين ألفاظ اللغة ما يقضى لبانته فان رأيت يالوسى أن رسالتى اليوم تافهة فأنى استميحك عذرا فى ضعفى وابثك تحيات قلبى النابض باسمك حتى الموت . م؟

رولاند

٢

من لوسى الى رولاند

عزيزى رولاند

ما كان امرها تلك الليلة الماضية وما كان اقساها تلك الجمرات النارية التى كانت تلهب جسمي اينما تقلبت...

تقول فى رسالتك انى ظلمتك بالاشارة عليك بالسفر وعلم الله انى ما ظلمت غير نفسى وما قسوت الا على قلبى ولكنها هى آلام الحب فلنتقبلها راضين فى سبيله

انى لا اتصور ولا يمكنى ان اتصور ان قلبا من القلوب او

نفسا من النفوس تستطيع ان تعانى من الآلام ماعانيته لفراقك وما كنت احسبني قادرة على ذلك لولا انى علمت ان الحب هو الذى وهبنى تلك القوة فما اعظم الحب من سلطان قدير يقوى الضعيف ويوهن القوى ! !

لست ادرى ماذا اكتب الك وانا لدى الشيء الكثير ، فما اكثر مافى النفس وما اقل الالفاظ التى تعبر عما يخالج الفؤاد من عواطف الغرام وآلام الوجد . انى كلما امسكت القلم ونشرت القرطاس رأيت انامل تتراخى ولا اعد استطيع ان اخط سطرا واحدا لانى اجدنى منجذبة بتيار خفى مشتغلة به ذلك هو تيار الحب

ما اعظم الحب ياوولاند ؛ اليس هو الذى يعلمنا تلك الفضائل السامية .

اليس هو منبع الرحمة والعفة والصدق والوفاء ؟ اليس هو مصدر الأناة والصبر ، ورقة العواطف ونبل الاخلاق : حقا انه عظيم ويعلمنا عظائم الامور التى ترفعنا فوق هذا المستوى البشرى وكذلك نرى المحبين والمغرمين دائما ملحقين بعالم الوحى والملائكة لأن الحب هو غرس قلوب الملائكة الطاهرة ونبات نفوسهم الزكية .

وولاند ، ادع الله معى ان يجعل لنا من حبنا الطاهر وحيا

تسمو به نفوسنا ونصل به الي سماء الكمال

ثم سلامي اليك مع كل شمس طالعة وبدر شارق ؟

لوسي

## من وولاند الي لوسي

عزيزتي

اتستطيعين يالوسي ان تصوري حال صديقك وولاند ؟ انه امسى شابا تعيسا قد تلاعبت به يد الارزاء وطافت به سفينة النأي والفراق حول عالم الهموم والآلام من اقصاه الي اقصاه حتى اترعته من شرابه الشيء الكثير لقد امسى منكود أمشتت الافكار مضطرب الفؤاد لا يفتح عينيه ولا يغمض جفنيه حتى يرى شبح ماضيه وحاضره ماثلا بين يديه ووعه خوفا وينذره وبالا بمستقبله

انها القسوة ، انه الظلم ، فويل للأيام وتبا للدهر ونقمة السوء الحظ : اهكذا تعامل القلوب الطاهرة وعلى هذا المنوال يكون شأنها في الحياة ؟؟

كيف لا أراك يالويس شهورين كاملين ؟ وكيف سابق مثلها وأكثر منها وأنا لا أراك ؟ كنت أحسب أن صفحة آلامي الماضية في باريس هي أقسى ما يمر بالانسان من العذاب ولكني رأيت أن السطر الاخير الذي أضمه اليها هو أشد سطورها أسى ونكداً ، شهورين ثم شهرين أضيفها الى أمثالها من الاعوام السابقة ؟ ؟

فهل لقلبي أن يطيق صبراً بعد ؟

أجل يالويس تلك حالي ولا يخففها عني غير أني أعتقد أني مقيم هنا في سبيل رضائك وبراً بوعدي اليك .

آه يالويس . كم أعزم أن أكتب اليك فأشكو الحب والغرام وأصفه بالظلم والاستبداد ولكني أعود فأحاسب نفسي وأردها عن غايتها !

أليس استبداد الحب وعبوديته هي نفس السيادة والشرف لاننا نشعر دائماً بلذة ساحرة هي أوقع في النفس من نغمات الاوتار وأي لذة أعظم من أن يجد الحبيب نفسه بجانب حبيبته يسبح في سماء الغرام على أجنحة نورانية شفافة نسيجها من جم المحبة وعظيم الاخلاص ! حقاً فالحب وحده هو سر هذه الحياة فهي

بدونه معدومة لاقيمة لها ، وكل شيء نعانيه من ألم مبرح وأفكار مضطربة وعواطف ثائرة وانفعالات شديدة فهو جميعه لذيذ مادام الحب مسيطرا عليه .

أتعلمين يالوسي كيف أترقب ورود البريد ، إنه كما يترقب عباد الشمس شروقها ، وكما يترقب المريض ساعة شفائه ، فهل أشفقت بهذا القلب الذائب والنفس المتفانية فتمديها بماء الحياة من رسائلك وتداوي سقمها وعللها من الفاظك وعذب كلماتك ؟

رولاند

٤

## من لوسي الى رولاند

حبيبي رولاند

أرأيت شكوى فؤادي الذي سطرها بدماء القلب على وجه الشمس الغاربة هذا المساء لتصعد بها الى الملأ الأعلى تتضرع اليه وتتوسل أن تقصر من مدى فراقنا وتحين من ساعة لقائنا ؟

لقد خدعت نفسي يوم أن أشرت عليك بالسفر ولقد

حسبت أن لدى قوة العزيمة والصبر على تحمل الآلام ما يدفع عنى كل هذا الشقاء الذى أرزح تحت اعبائه هذه الأيام ، فلما رحلت وجدتنى بعدك فتاة ضعيفة بائسة ليس لها من القوة التي تصورتها غير صبابة نفدت منذ الساعة الاولى !

أتذكر يارولاند مقعدك فى « الصالون » أنى أجلس في كل مساء وأقرأ فى صحيفة نيويورك جورنال فأخال أنك جالس بجانبي تسمعنى وتصغى الى حديثي فأنظر حولك فأنتفض انتفاضة مؤلمة اذ أرانى وحدي أقرأ لنفسى وأن مقعدك خاليا بجانبي فالقى عليه نظرة أسى واعلم أنى كنت واهمة فيما تخيلت وأن تلك كانت أياما مضت ولم يبق منها غير أثرها .

أتذكر ذلك السوار الذى أهديته لى يوم الاعتراف ؟ انى أنظر اليه فى كل صباح فأقرأ فيه صفحات الماضى ، أقرأ تلك الكلمات العذبة التي سبيت بها نفسى ، أقرأ فيها نجوى قلبك ونجوى فؤادي فأنظر اليها ساعة طويلة ثم اردها الى مكانها تشيعها أنة من الالم وحسرة على تلك الايام الهنيئة التي قضيناها فى باريس ترفرف فوقنا اجنحة الحب والغرام وتظللنا سماء الهناء والسعادة :

أجل ، ان الحب الذى يتغلل في هذا القلب يوما بعد يوم

ليس عرضاً وقتياً وانما هو جوهر في النفس وعنصر من عناصرها قد امتزج بها من نشأتها فهيهات انفصاله عنها

آه يارولاند ، كم اري الايام طويلة والساعات لا تمر ، اني انتظر بفارغ الصبر كتابك الذى تنبئني فيه بمودتك الى ، فمتى يصل هذا الكتاب ومتى تمود ؟

لوسى

٥

من لوسى الي رولاند

ملاكى الصغير

الى متي نبقى في سجن آلامنا ؟ والى متي تفرق بيننا الايام ؟

آه يارولاند ، ان قلبي الفائض بالغرام وفؤادى الطافح بحبك لم يعد يقوى على اخماد تلك العاطفة النارية التي تلهب مهجتي شوقاً لرؤياك ووجداً للقياك

عزيزى

أن الاشقياء في الدنيا كثيرون ولكنهم يتفاوتون في شقائهم

كما تتفاوت السعداء فى مراتب نعائمهم على ان اشد هذه الفئة شقاء ذلك الانسان الذي يملك بين جنبيه نفساً ابية لا ترتضى الضيم وتأبى الضعف فهو كلما داهمته عاصفة بأسائه يستقبلها بجنان ثابت ونفس هادئة ويجترع من كؤوس الألم ما الله عالم به حيث يودعها قرارة نفسه ويغلق من دونها باب الصمت والكتمان فتظل جذوة المه متقدة في احشائه يقاسي بين شدتها تارة وخفتها تارة اخرى من غصص الهم ومساوىء الحياة مالا ينزل عند طاقة انسان ... ؟

ذلك مثلي يارولاند فى هذه الأيام ولكن آواه ، لم اعد اقوى على الكتمان فلقد طفح الكيل وغلى المرجل ونفذت جعبة الصبر وصارت النفس والهة والمهجة واجدة والحشاشة ذائبة والكبد محترقة

انى اصلي يارولاند اناء الليل واطراف النهار واتوسل الى الله ان يقضى من ايام فرقتنا ويطفىء من نيران شوقنا وسعير وجدنا الذى أنحل القلب وافنى النفس : :

فهل تجيب السماء الدعاء ؟ ؟

وانى فى النهاية اقرئك السلام الى حين اللقاء لوسى

٦

## من رولاند الى لوسى

عزيزتى لوسى

بشراك فقد أجيبت توسلاتك وتحققت دعواتك وكذلك شاء الله أن لا يرد ضراعتك لأنها صادرة من قلب وفى طاهر ،

لقد ورد على صباح هذا اليوم رسالة من مدير المصرف العام ينبئنى فيها باعطائى الحق فى العودة الى نيويورك اذا شئت ذلك ابتداء من أول مايو القادم .

ياله من خبر سار طارت له نفسى فرحا وتشمع له فؤادى بهجة وسرورا وياله من يوم مقدس ستظل ذكراه خالدة فى القلب ذلك هو اليوم الذى سأتمتع برؤياك فيه يالوسى !

آه ما احلى هذه الساعة التي أسطر اليك فيها هذه البشرى وأجملها ، أنها الساعة الوحيدة التى ذقت فيها حلاوة الكتابة ، كيف لا وأنا احببتك حبا جعلنى أحب فيه كل شىء من أجلك حتى

شقائي وآلامي ، انه ليخيل الى أني أرى كل شيء بجانبك أجمل منه في اي مكان آخر ، أليست السماء التي تظللك هي اجمل من التي اراها هنا ، والشمس التي تشرق على وجهك هي أبهى منها في أي مكان آخر .

انك يالويس بهجة هذه الحياة والزهرة اليانعة التي أراد الله أن يحلي بها جيد هذا الكون ، وانك أنت الجمال الذي يضيء على وجوه الحسان فيمنحهم حسنهم ، وأنت الوحي الذي يلهم المحبين والمغرمين .

أحبك يالويس ، حبا ما حمله قلب انسان لامرأة ، بل حب العابد لمعبوده ، لا أستطيع أن أصبر على رؤياك أو التفكير فيك لحظة واحدة فالى الملتقى الى اليوم المقدس ، الى اول مايو

رولاند

# ١٨

## الحظ

في صباح يوم ٢٤ مايو اى بعد عودتى من مدينة واشنجطون بينما كنت أعد فى محفظة اوراق قبل ذهابي الى المصرف واذا بى اسمع ورائي صوت عدو سريع فالتفت فاذا بلوسي هى القادمة وبيدها صحيفة الصباح وتتنازع وجهها علامات البهجة والسرور والعجب والاندهاش ، فسألتها :

ماذا قرأت ؟ وما بالك مضطربه كذلك ؟

فأجابتني بتلعثم : اقرأ ، مامعنى هذا ؟ ؟

فتناولت الصحيفة من يدها واشد مادهشت وسررت ايضاً عند ما قرات في قمة العمود الأخير من الصحيفة الرابعة ما يلي:

سندات شركة قناة بنما

ارباح اقتراع هذا العام

ربح السند الأول نمرة ٨٣٧ من سندات شركة بنما فى اقتراع

هذا العام مبلغ مائة الف دولار وهو كما علمنا ملك المسيو رولاند ادمون الموظف بالمصرف الفرنسي الامريكي بنيويورك وقد بحث كل من السندات الآتيه نمرها مبلغ خمسة آلاف دولار وهي : ٥٢٦ ، ٦١٢ ، ٩٥٣ ، ١٣٨١ ، . . . الخ

لم ابلغ من القراءة الى هذا الحد حتى صحت يا للحظ ، بشراك يالوسي وما اسعدني بك ؟ ثم اطبقت الدهشة شفاهنا اذ ذاك فجلسنا صامتين الى المكتب الذي امامنا واخذ كل منا ينظر الى اخيه باستغراب وبعد قليل تحركت لوسي في مقعدها ثم خاطبتني قائلة :

لم يسبق لك يارولاند ان اخبرتني عن شرائك لهذا السند فمن اين لك به ؟

معذرة يا صديقتي العزيزة ، لقد نسيت ان اكتب لك عن شرائي هذا السند في رسائلي الماضية ولما عدت الى نيويورك انستني رؤياك كل شيء حتى هذا : : واما حكاية هذا السند فلقد حدث يوما بينما كنت في عملي بالمصرف بواشنجطن ان تقدم الي شيخ كهل تدل سيماه على رغد عيشه وحسن حاله وقدم الي ورقة كبيرة حسبتها احدى اسهم المصرف ولكني لما اطلعت عليها

وجدتها انها سند من سندات شركة بها وكان قد اشتراها منذ عام ث
وسافر الى استراليا ثم عاد هذا العام فحضر للمصرف ليستفهم عما
تم في امر هذا السند الذي اشتراه بمائتي دولار على امل انه قد يربح
مبلغاً ما في اقتراع الشركة وفعلا فأني تناولت منه السند واخذت
ابحث عن نمرة سنده بين النمر الرابحة في العامين السالفين وكم كان
عجبي عظيما عندما وجدت ان سنده ضمن خمسين سنداً آخر
ربح كل منها عشرة آلاف دولار وان مبلغ هذا الشيخ محفوظ
باسمه في خزينة المصرف . فهنأته بربحه فشكرني وقد اخذ السرور
منه مأخذا كاد يمحو معه تجاعيد وجهه التي شكلته بها الاعوام
الطويلة . وبعد ذلك انصرف الشيخ من امامي لمقابلة مدير المصرف
لاستلام المبلغ ولم اره بعد

على ان اثر هذه الحادثة لم يبرح مخيلتي واستمرت تتحسن
في خيالي فكرة شراء احدى هذه السندات يوما بعد يوم ، املي
اكون من الرابحين أيضا ، وفعلا عندما نضجت الفكرة وتم
مجموع ما أدخرته مائتي دولار ـ وأنت تعلمين أني كنت اذ ذاك
أتقاضى خمسين دولار في الاسبوع ـ بادرت بشراء هذا السند
في آواخر ديسمبر الماضي ، ولكن يالاحظ فلقد ربح هذا السند

عشرين ضعفا مثل التى ربحها سند الشيخ : فشكرا الصرلي وحمدا لفضله ، ثم أنه كان السند الاول فى الاقتراع ، وكنت أنت يالوسى اول من بشرنى بهذا الربح الكبير :

ألست تعتقدين أذن يالوسى أن كل من يأتى بلاد أمريكا لابد ان يصبح ثريا : ؟

ها ، ها . ها . أظن حتى ولو عن طريق اليانصيب ؟ .

نعم هو كذلك .

وهنا دقت ساعة الحائط الثامنة ونصف فلم يكن يبقى عن موعد ابتداء عمل المصرف غير نصف ساعة ولذلك فقد اسرعنا الى الخروج وارجأنا التفكير فيما نتبعه الى ما بعد عودتنا من العمل : وصلت المصرف وكان الخبر قد انتشر بين موظفيه وعماله واصدقائى ومعارفى فأخذوا يأتون الى يهنئونى ويبدون نحوى عواطف السرور والابتهاج ..

ثم عدنا الي المنزل فجاءت الي لوسى وقالت .

ماذا عزمت عليه أخيرا يارولاند ، هل لا نعود الى فرنسا المحبوبة بعد ؟

ولماذا التعجيل

انك الآن قد تحصلت على رأس مال ليس بالقليل كما أنه لديك من الشهادات ما يخول لك العمل في المحاماة والقضاء وغير ذلك فيمكنك ان تحصل عن طريق هذه المهنة من الثروة والشهرة مالا يتيسر لك مثله في غير بلادنا المحبوبة التي نشأنا فيها وتربينا بين أهلها وعلاوة على ذلك فأنه قد أصبح من السهل لدينا أن نقوم بحفلة زفافنا ، فهل لا تجد من الصواب ان نعود الي وطننا ،

انا سنعود الى بلادنا ولكنى ارى ان الوقت لم يحن بعد واني اشعر انه سينالنا من هذه البلاد خيرا كثر مما اصبناه فلننتظر قليلا انرى ماذا يكون من امرنا

فتململت وقالت يجب ان لا نسير وراء الشعور والعواطف والتنبئات التى لا تجد بنا نفعا بل هى مضيعة لزمننا فقط وان زمننا تقضيه هنا كموظف فى احد المصارف كفيل بأن يكون لك عند الاشتغال بالمحاماة او القضاء في بلادك مركزا ادبيا لا يستهان به؟

هذا صواب ولكن هل ترميك العودة الي فرنسا قبل مضى بقية العام الذى تعاقدنا عليه مع المصرف ؟

لا ، انه لم يبق غير خمسة اسابيع فيجدر بنا ان ننتظرها برا بتعاقدنا ثم نرحل

حسنا علينا اذن ان ندع مسألة الرحيل الآن حتى تمضى الخمسة اسابيع ولنفكر فى شىء آخر قريب .

وماذا تعنى بهذا القريب ؟

مرت بخاطرى فكرة فى الصباح عند ماجلست الى المكتب اقص عليك حكاية السند وقد صممت على شراء هدية ثمينة اقدمها تذكارا لأول صفقة من الربح والثروة التى اكتسبناها فى امريكا

فابتسمت لوسى ثم ارخت طرفها نحو الارض وقالت .

ماذا تقصد بهذه الهدية هل هى « هدية الزواج » .

كلا ياعزيزتى لوسى انى اطمع فى ان تكون قيمة هدية الزواج اضعاف قيمة المائة الف دولار التى ربحناها اليوم . . اما هذه الهدية لا غير تذكار بشراكك لي اليوم بربح هذا المبلغ . فماذا تفضلين ان تكون هذه الهدية اطلبى ما شئت حتى ولو تقاضى هذا المبلغ كله . .

شكراً لك يارولاند ما اكرمك . ولكن اذا كنت مصمما على احضار هذه الهديه فدعنى افكر قليلا وان اجملك تغير من مشيئتك . .

فابتهجت وقلت فكرى ما شئت وانى مسرور ان اجدك

عند رغبتي .

سكتت هنيهة ثم نظرت الي وقالت

رولاند انهم قالوا اذا أعسرت ثم ايسرت فتذكر من اسدى اليك معروفا وواساك بخير فقدم اليه بمثل ما منحك واحسن اليه المكافاة وانت كما تعلم ان المستر كلا يتون رفيقنا الضابط في رحلتنا الشاقة قد اسدى الي جميلا اراني لن استطيع الوفاء به وذلك انه انتشلني من الموت عند غرق السفينة وهذه الحسنة لن انساها طول حياتي واني ادعو لهذا الضابط بالرحمة في كل صلواتي ولما كنا لا نستطيع مجازاة هذا الشجاع بعد موته حتى ولو بجزء مما قدمه الينا من المعاونة فاني تذكرت الآن اسرته التعيسة وقد انقطعت اخبارها عنا هذه المدة الطويلة واخاف ان يكون مسها شر او اصابها عوز واني لذلك فكرت ان اتبرع بقيمة الهدية التي تريد ان تقدمها الي لشراء هدية اقدمها او ادفع القيمة مساعدة لاسرة هذا الضابط المنكود لعلنا نكون بذلك قد قدمنا اليه في شخص اسرته بعد مماته جزءا من دينه عندنا ذلك ما قر عليه رأيي وهذا ما اخترته من انواع الهدايا

ما أطيب قلبك يا لوسي وما أحفظك للجميل وما أحسن

اختيارك لانواع الهدايا الخالدة ! واني ارضاء لرغبتك السامية سأقدم اليك مبلغ خمسة آلاف دولار لهذا الغرض ، فهل ذلك المبلغ يكفى لادراك بغيتك ؟ ؟

انه مبلغ وافر يارولاند دليل اعزازك لى ولرغبتى فشكراً لك ياصديق — واني أراني أيضاً يالوسى مدين لهذا الضابط بدين أكبر من دينك ذلك هو انه أنقذ حياتك وحياتى معاً اذ كان في نجاتك من الغرق نجاة لى أيضاً من الموت المحقق لاني ما كنت أرتضى لنفسى البقاء بعدك ساعة واحدة بل انى كنت سأظل بجانبك على سطح السفينة حتى نغرق معاً ، ولهذا فانى أقدم مبلغ خمسة آلاف دولار أخري لشراء هدية باسمى لأسرة الضابط — وقد شعرت ان كلامى أحدث في نفسها تأثيراً ظاهراً فاستسلمت لتصوراتها لحظة شملنا فيها سكون عميق ثم تكلمت فقالت :

لقد كنت يارولاند أكثر مني طيبة واخلاصاً لهذا الضابط وأحسن منه اخلاصك نحوي ومحبتك لى فأسعدنى بك وأهنأنى بحبك !

ولكن ماذا ترى أن نقدم من الهدايا ؟

انى أظن أن للضابط ابنا وفتاة ؟

نعم هو كذلك ،

لذلك أرى أن نشترى بهذا المبلغ أسهماً من شركة بما نقدمها باسمي ابنى الضابط فانى أظن أن ذلك أكبر فائدة لهما من أى شيء آخر فهذه الأسهم علاوة عن ارتفاع قيمتها يوماً بعد يوم فانهما قد يصيبان منها ربحاً مثل الذى حصلنا عليه وفوق هذا فان مبلغ عشرة آلاف دولار فى بلاد امريكا الغنية التى يتضاعف فيها الدولار الواحد فى أوجز مدة هى رأس مال كاف لفتى وفتاة لم يتجاوزا من العمر عشرة أعوام ولا يلبثا ان تتكون لهما ثروة كبيرة عند بلوغهما سن الرشد .

ابتهجت لوسي وقالت ، هذه فكرة حسنة وجميلة جداً ، ولكن متى تفعل ذلك ؟

سنشترى الأسهم غداً ثم نزور مسز كلايتون بعد غد

ذلك أفضل

وبهذا فاننا صممنا على زيارة اسرة الضابط بعد يومين ٠٠٠

# ١٩
# الكوخ

اشترينا الاسهم ولما كنا لم نر مسز كلايتون منذ زيارتنا لها في اليوم الثاني لوصولنا مدينة نيويورك فاننا طبعاً قصدنا المنزل الذي قابلناها فيه منذ احد عشر شهراً ، فركبنا عربة في منتصف الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم فوقفت بنا بعد نحو نصف ساعة امام باب المنزل المذكور فقابلنا الحارس ( البواب ) عند الباب فسألناه عن مسز كلايتون فدهشنا عند ما أجابنا انها باعت هذا المنزل ورحلت مع ابنيها منذ شهر الى احدى ضواحي نيويورك .

فسألته ، ألست تعلم سبب بيعها المنزل ورحيلها منه ؟

يظهر ياسيدي ان حالتها المالية قد تزعزعت أركانها فرأت في بقائها في هذا المكان تكاليف باهظة لمعيشتها لا تستطيع القيام بها وخصوصا بعد وفاة بعلها ؟

وكيف حدث ذلك ؟

ان قرينها ياسيدى قد تركها مستغرقة بالديون فعلى أثر تحقق خبر غرقه انهال عليها الدائنون من كل جانب ولم تكن تملك اذ ذاك غير هذا المنزل الذى كانت تؤجر طبقتين منه وتسكن فى الطبقة الثالثة ثم المعاش القليل الذى كان يتقاضاه زوجها من الحكومة بعد اعتزاله الاعمال ، لذلك اضطرت الى بيع المنزل حتى أمكنها الوفاء بالدين .

حسنا ، ولكن هل تعرف اين تسكن الآن بالضبط

لا ياسيدي ، ولكن استطيع ان اقابلكم بأحد اصدقائها وكان مستأجراً الطبقة العليا من قبل ولايزال بها حتى الآن واسمه المستر ماكس ، فهو يمكنه ان يدلكم على مكانها بالضبط

اذن خذ بطاقتى هذه وقدمها اليه ونحن في انتظارك

عاد « البواب » ومعه شاب فى مقتبل العمر وهو انجليزى الاصل حسن الهندام والزى فتقدم نحونا وحيانا ثم قال

هل يريد سيدى خدمة ؟

شكراً وانما نود ان نزور مسز كلايتون وقد علمنا انك صديق لها فهل تسمح ياسيدى ان تهدينا الى مكان اقامتها

فنكون لك من الشاكرين

ها هو عنوانها، وعلى كل حال فأنا مستعد لمرافقتكما اليها اذا احببتما ذلك :

تفضل على الرحب والسعة .

ثم ركبنا العربة نحن الثلاثة واخذ رفيقنا ماكس يرشد السائق الى المكان المقصود، مضت بنا نحو نصف ساعة ونحن سائرون بين شوارع المدينة المزدحمة ومبانيها الفخمة ثم انتقلنا الى العراء حيث الاشجار الضخمة والمياه الجارية التى تشق الخضرة عن جانبيها وكان من بين المناظر البديعة مناظر القوارب الصغيرة وقلاعها وهى تطفو من فوق مياه الجداول والخلجان الكثيرة عن شواطىء نيويورك

استمر بنا المسير حتي اشرفت علينا التلال المجاورة وقد اخذت تتدرج على سفوحها الخضراوات الناضرة تتخللها بعض الاكواخ الجميلة التي اكتست بالنباتات المتسلقة فأكسبتها حسنا وبهاء .

كان من بين هذه الاكواخ كوخ ذا شكل غريب يجذب الانظار لاناقة صنعه وجمال خضرته فالتفتت نحوه لوسى

وخاطبتني قائلة :

انظر الى ذلك الكوخ ما أبهاه ؟

اجل ، انه جميل فلقد ألبسته الطبيعة من جمالها ثوبا قشيبا فهاهى الخضرة تعانقه وتلتف حوله من كل جانب بما فيها من ازهار باسمة واشجار باسقة ، وهاهى المياه الفضية تتثنى بين منعطفاتها وتتلاطم برمالها الضحلة وصخورها الناتئة وتلك الطيور تسبح بين الفضاء في سمائها ترسل اليه نغماتها الشجية وقد ابتهجت بأشعة الشمس التى اسبلت على الارض ثوب البهاء والجمال . . .

ولم أتم اطنابي بجمال هذا الكوخ حتى صاح بي رفيقنا ماكس وقال :—

يالله ، ما اكثر ماتغرر بنا المظاهر الكاذبة وتضلل بأبصارنا تلك القشور البراقة الزاهية التى تسدل على الحقيقة ثوبا من الرياء والتمويه ؟

انك لو عرفت هؤلاء الذين يأويهم هذا الكوخ الذى يتراءى لك جميلا وتحسب ان اهله سعداء به لعرفت حقيقة اشقى واتعس جماعة في هذا الكون بأجمعه ، لو عرفتهم لعرفت

احق الناس بالرحمة والشفقة لا بالغبطة والحسد

وهنا اردت مقاطعته ولكنه استمر في اندفاعه فسكت —

أنظر تجد بين جدران هذا الكوخ أما حزينة قد ناءت بما تحمل على كاهلها من أنواع الهموم والاسقام ، أنظر تجد شبابها الغض قد توارى بين ثنايا التعاسة وأحضان البؤس ، وهاهم أبناؤها تراهم حولها ، يتأوه أحدهم كأنه شعر بمصاب أسرته الأليم فبكى أسى وحزنا ويبتسم الآخر ويهزأ كأنه يسخر بهذا العالم وما فيه من مظاهر كاذبة وبهذه الدنيا وما أقامت للناس من شرك البلايا وحبال الخداع وما شادت لهم من صروح البؤس والتعاسة .

وهنا تمتمت لوسى وقالت :

أيه لك أيها الدهر الخئون مابالك وهؤلاء المساكين ترهقهم بشديد عقابك وبليغ ارزائك . فبالله ابتعد عنهم بنكباتك وهون عليهم مصائبك فعاد ماكس الى حديثه وقال:

أجل ياسيدتى ، لقد أمسوا أيتاما ضعفاء ، لاعون لهم ولا نصير فلقد نكبوا فى أبيهم أعز معين لهم ، ففقدوا به عماد حياتهم ومصدر سعادتهم ، خسروا به كل ثروتهم ومالهم فأمسوا مشلولى الايدي والاجنحة يتلمسون رحمة الله ومعونته فأنه لتأبي

نفوسهم الزكية أن تستجدى رحمة غير رحمته مهما كلفهم ذلك من بؤس الحياة ونكبات الدهر ، تلك حالهم فانظر وتمهل قليلا ففي ثنايا اعطافهم حكمة وعظة لقوم يتفكرون

مابالى بهم فكأنهم عندما يتجرعون الشراب كمن يتجرع السم ليتخلص من هذه الحيـاة حتى يطرح عن عاتقه كل متاعبها وأثقالها وشرورها

آواه ، انك لو رأيتهم اذا ما أسدل عليهم الليل ستاره لرأيت قوماً سكنوا الى الاواجم والاسقام فيظلم فى وجوههم المكان ويزيده وحشة ظلام الليل فيفترشون فراشهم تعلوهم غبرة وتتصعد من أنفاسهم نيران حامية وزفرات محرقة تدمع لها العيون وتحزن الافئدة ، وهاهي حسراتهم المميتة وتأوهاتهم المتوالية التى تدمي القلوب الجامدة وتذيب الافئدة الصخرية تصعد الى أطباق الجو صارخة شاكية ، فيالها من أسرة بائسة قد كال لها الدهر من أنواع الشقاء والآلام ماتتقوض تحته الجبال الرواسى وتندك له الارض

إنى لاأخال هـذه الازهار الحمراء الاقد تخضبت من دماء تلك القلوب الحسيرة التى تتفتت حزنا وهما لما نزل بها من القدر المحتوم !

وما هذه المياه الجارية الا دموع تلك الفتية التعيسة التي تتدفق بين كل حين وآخر

أليس تئم هذه الطيور الشجية الابكاء وأنينا رحمة وشفقة لما يلاقيه أهل هذا الكوخ الذي يرفرفون حوله ويحلقون فوقه ،

وما كانت الشمس ترسل اشعتها صفراء شاحبة الا كمدا وحسرة مما يعانيه أشقياء هذا العالم وضحاياه التي تفيض لها القلوب رحمة وتجزع لها النفوس ألماً وحزنا

حقيقة مرة ياسيدي رولاند وما يغرنك ماتراه من المظاهر الكاذبة التي تبدو لك من ثنايا هذه الغلائل الرقيقة التي هي في الحقيقة ثياب البؤس والشقاء ثم لايخدعنك تلك البهجة الوقتية التي قد تراها على وجوه مثل هؤلاء البؤساء فانها تسدل وراءها حزنا عميقاً يوشك أن يذيب قلبا قد قرحته جروح الاحزان وأدمته مصائب الزمان فبات كسيراً لايخفف من ألمه او يروح من همه الاسيول الدموع تذرفها العيون ساعة لاتلبث أن تنقضي ثم يطفح به الالم ويسكن الى الحزن الابدى .

وما بلغ ماكس الى هذا الحد من حديثه حتي كنا مقابل هذا الكوخ الذي كنا نتحدث عنه طول هذه المدة . وما كان أشد

عجبنا عند ما امر ماكس الحوذى ان يوقف العربة امامه

هل تعرفون كوخ من هذا يارفاقى ؟؟

طبعاً ، لا

انه الكوخ الذى تسكنه المرأة التي أنتم في السؤال عنها أى مسز كلايتون وما نطق بجملته حتى سالت دمعة حارة من عينى «لوسي» اسى وحزنا لما اصاب هذه الأسرة من الشقاء

تقدمنا نحو الكوخ فاستقبلتنا عند بابه امرأة خلناها غير التى عرفناها من قبل فلقد طحنتها الامراض وانتابتها الاسقام فذبلت زهرة حياتها وحانت شمسها الى الغروب. عرفتنا ولما نعرفها ولكن كان من نغمة صوتها تثبيتاً لشخصيتها فحييتها وما اقتربت منها « لوسي » حتى تعانقا بشدة ثم سألتها فقالت : كيف حالك وحال ابنائك يامسز كلايتون . انى اود من صميم فؤادى ان تكونوا جميعاً متمتعين بصحة جيدة

شكراً لك ياسيدى رولاند فأننا جميعاً لله الحمد بخير

تقدمت امامنا السيدة ودخلنا من ورائها باب الكوخ ثم قدمت الينا ثلاثة مقاعد فجلسنا عليها واخذنا نتحادث فى بعض الشئون وكان الكوخ انيقاً فى شكله وداخله يدل على حسن

التنسيق والذوق وكان فيه حاجزان او ثلاثة ( برافانات ) تقسمه الى ثلاثة اجزاء هي بمثابة ثلاث حجر طبعاً وقد كان الاثاث بسيطا ولكنه كان جميلا

جلست السيدة امامنا وكان الحزن باديا على محياها وقد مكثنا برهة صامتين لاتنبس ببنت شفه ولم نكن نسمع اذ ذاك غير رنة الملاعق فى فناجين الشاي التى قدمتها الينا وقتئذ مسز كلايتون ومن بين هذا السكون العميق والالم الذى سرى فى نفوسنا خلت انى اسمع خفقان قلب مسز كلايتون كأن وجودنا عندها بعد ان اصبحت على هذا الحال قد احدث لها ألماً وحزنا ، لذلك تكلمت وقد زودت نفسى بشىء من الجرأة وعدم الكلفة فقلت .

اني اراك ياسيدتى تكتمين بين جنبيك هما مؤلما ، هل تسمحين ان تكشفى لنا عنه لعلنا نستطيع ان نشاركك فيه او نخفف منه قليلا ؟

شكرا لك ياصديقى وانما هي ذكرى زوجي كلايتون قد عاودتني الآن فهاجت لى هذا الحزن ؟

اجل ياسيدتى ولكن يجدر بك ان لاتدعى للحزن سبيلا

الى نفسك فذلك لن يجديك نفعاً وانما يجب ان تتعهدى نفسك بالبهجة والسرور لتسعدى ولديك بجانبك وتحبى اليهما الحياة وتقوى فيهما الثقة بالمستقبل

آواه ، يارولاند ، اني لا استطيع ان اتصور كيف اراد بنا الدهر هذا العذاب الذى يجرعنا من مرارته كل ساعة ؟ لقد حاولت ان انسى الماضى وانسى معه احزانى وآلامى ولكن من يمكنه ان ينسى راضيا الشخص الذى احله فى حياته من قلبه مكانة لا مرتفع بعده وقد اعزه اعزاز النفس لذاتها

مسز كلايتون ؛ هونى من امرك وخففى من حزنك والله يلهمك الصبر والسلوان ، ويغدق عليك غيث رحمته ورضوانه ، سيدتى ان المرحوم زوجك قد فارق الحياة واني اعتقد ان روحه قابلتها السماء بالبشر والبهجة لانها كانت روحا مطبوعة على الاحسان والخير

مات قرينك وهو يدينا ديناً كبيراً اعترفت لك به عند مقابلتنا الاولى بنيويورك وهو دين عظيم لم نستطع ايفاءه اليه فى الحياة لان الايام لم تمهله طويلا ، بل واننا لن نستطيع حتى مماتنا ان نؤدى اليكم منه ولو جزءاً بسيطاً ، ذلك الدين الذى لا يمكننى انه

أعادله بأي قيمة فى هذا العالم هو انقاذ حياة لوسى وحياتى معاً
لأنه كان فى حمله لوسى بين يديه وقفزه بها الى قارب النجاة ،
خلاص لها ولى ايضا لانه لوكان أصابها أذى وقد كان محققا اذ ذاك
لكنت اليوم شريكها بطبيعة الحال ولكان قاع اليم هو مثوانا الاخير
لأنى ما كنت ارتضى لنفسى الحياة بعدها فأتركها وحدها على ظهر
السفينة الغارقة وأنجو أنا بنفسى ذلك كان محال ، محال جدا . .
ان هذا الدين الذى أرانى عاجزاً عن ايفاء حتى ولو جزء منه اسأل
الله ان يجزى المستر كلايتون عنى خيراً فى حياته الاخيرة ويتغمده
برحمته ورضوانه

على أن نفس لوسى ونفسى حدثتنا اليوم أن أجرؤ فأسألك
أن تقبلى هى هديه لابنك جاك ومثلها من « لوسى » لكريمتك
مارى وأرجو أن لا تعتبريهما غير تذكارين منا فقط لزيارتنا بلاد
أمريكا الجميلة لأننا قد عزمنا على العودة الى وطننا فرنسا بعد أيام
قلائل ، فهل لك ياسيدتى أن تمنحينا هذا الشرف العظيم بقبولك
هاتين الهديتين ؟

أنى أريد منك كلمة بالقبول ؟

تعلمت وقالت أن ولدى جاك ومارى يشكران لكما هذه

العاطفه الجميلة نحوهما وهما لا يسألانكما غير أن تديما لهما صداقتكما ومودتكما فهى مؤنسهم فى الحياة :

شكرتها واخذت الح عليها فى طلبى وقد عاونتنى لوسى من جانب وماكس من جانب آخر واخيرا بعد تردد طويل قبلت مسز كلايتون الهديتين وهنا تقدمت نحو جاك وكذلك فعلت لوسى وكان الشقيقان حاضران داخل الكوخ فناولنا كل منهما أيصالا باسمه على البنك الفرنسى الامريكى بنيويورك بمبلغ خمسة الاف دولار قيمة عشرين سهما من أسهم قناة بنما .

فشكر لنا الوالدان هذه الهدايا وكما أطنبت مسز كلايتون فى الثناء علينا وقد اكبرتنا أى أكبار وكذلك فعل ماكس الذى لم يكن يتوقع ان تبلغ قيمة الهديتين هذا المبلغ الباهظ فأطلق لسانه فى الثناء علينا وشكر لنا عملنا الحميد . ثم مكثنا برهة وجيزة بعد ذلك وودعناها هى ووليها وأنصرفنا مع رفيقنا ماكس من حيث جئنا ...

# ٢٠

# الرحلة

انقضى علينا عام كامل بالبلاد الامريكية ولقد رأيت من رغبة «لوسى» الشديدة فى العودة الى فرنسا المحبوبة ماجعلني أرضخ لارادتها التي لم أكن اقوى على اغضابها اوممارضتهاوفوق ذلك فقد كانت نفسى ذات رغبة شديده الى الاسراع فى عقد قراننا وانجاز حفلة زفافنا التى قررنا أن لاتكون بغيرأرض الوطن العزيز حتى اذا ما أنتهينا من ذلك استطمنا أن ننظم حلقةسعادتنا المستقبلة الابدية . ولذلك فقد اتفقنا نهائيا على العودة الى اوربا ولكن بعد رحلة نطوف بها انحاء الولايات الامريكية حتى لا نكون كمن ورد الماء وعاد منه ظمآنا . . ؟ ؟

وقد وضعنا برنامجا لرحلتنا التي عزمنا على بدئهامن منتصف شهر يوليو الجارى يتلخص فيما يأتي : —

نبدأ من رحلتنا من مدينة نيويورك فمدينة فلادلفيا فثغر

بالتمورثم الى واشنجطون عاصمة البلاد ثم تخترق مقاطعة فرجينا
ونمر بمدينة رتشمند فمدينة ما كن بمقاطعة كارولنيا الجنوبية ثم الى
منتجمرى الواقعة على احدى الانهار الصغيرة بمقاطعة الباما ثم الى
مبيل على نفس النهر وبعد ذلك نصل الى مدينة نيوا وليانز على
مصب نهر المسيسبى وناخذ منها الخط الحديدى الباسفيكى الجنوبى
الذى يسير موازيا لساحل خليج المكسيك حتى مدينة هوستن
ونستمر حتى نصل مدينة سيوفورد التى يتفرع منها خط حديدى
الى مدينة مكسيكو ثم يستمر الخط حتى يلتقى بمدينة الباسو
الواقعة على نهر ريوجراند الذى يكون الحد الفاصل بين بلاد
المكسيك والولايات المتحدة ثم نمر بمقاطعة اروزونه وهى جبلية
السطح حيث نعبر نهر كاورادو الذى يسير بين سهل ناضر وسط
جنات غناء وبساتين يانعة تحف جانبيه جبال ليست مرتفعة
كثيراً ثم نصل الى مدينة لوس انجلوس التى على ساحل المحيط
الهادى فمدينة سان فرنسسكو بمقاطعة كالفورنيا والتى هى العاصمة
التجارية على شاطىء المحيط الهادى وتربطها خطوط حديدية بجميع
اطراف الولايات المتحدة كما ترتبط بثغور المحيط الهادى والمحيط
الاطلسى بخطوط للسفن التجارية التى تنقل المحاصيل المختلفة

ثم تتم رحلتنا بأن نأخذ الخط الحديدى من سان فرنسسكو فمدينة سكرمنتو فأجدن فأماها فشيكاغو حيث نطوف طوفة قصيرة عند البحيرات الخمس ونشاهد شلالات نياجرا قريباً من بحيرة ايرى ثم نزور مدينة بفلو ربة مدن البحيرات ومنها نعود الى نيويورك من حيث نبحر بأول باخرة الى ارض فرنسا المحبوبة

ذلك هو برنامج الرحلة الذى وضعناه والذى راق لنظر لوسى الى درجة كبيرة وكان المزمع ان تأخذ منا هذه الرحلة الطويلة نحو شهرين او شهرين ونصف تقريباً حتى نستطيع فيها ان نرى كل ما يحتاج السائح ان يراه فى هذه البلاد العجيبة الغريبة ، ولقد خصصنا لهذه الرحلة جميع النقود التى ادخرناها من عملنا بالمصرف وتبلغ نحو الالف ومائتى دولار .

*
* *

فى صباح يوم ١٥ يوليه كنا على تمام الاستعداد للسفر اذ تحرك بنا القطار فى منتصف الساعة الثامنة من مدينة نيويورك قاصداً واشنجطون .

كان هذا الجزء من رحلتنا معروفا لدي فلقد سبق ان مررت به عند سفرى الى واشنجطون فى مدة انتدابى فى فرع المصرف الموجود هنالك فأخذت أحدث لوسى عنه طول الطريق وأذكر لها الاسماء والاوصاف والمعلومات وغير ذلك مما يتوق الى معرفته السائح فى بلاد غريبة عنه ، وبينما كنت اسرد لها معلوماتى عن هذه الجهات انتفضت انتفاضة خفيفة شعرت بها لوسى فقالت :

مالى أراك هذه اللحظة كأن شيئاً آلمك او كأنك تذكرت امراً ذو بال ؟!

نعم ، ان ما جعلنى أضطرب الآن هو انى فى نفس هذا المكان الذى تجدين القطار سائرا فيه حدثت لى مسألة بسيطة فى أثناء سفرى الاول الى واشنجطون وكانت فى مبدئها ذات أهمية عندى حتى تملكت على كل افكاري وتصوراتى ولكنى أهملتها بعد بضعة دقائق من حدوثها اذ وجدت نفسى قاصراً عن تحقيق تلك الأمنية التى عرضت لى ولقد أثارت لى رؤيا هذا المكان ذكرى هذه المسألة

وتفصيل الخبر هو انى كنت اقرأ فى كتاب تاريخي بينما

كان القطار سائراً واسم هذا الكتاب « اسرار الدنيا الجديدة »
وأظنه لدى الآن في حقيبتي ثم فتحتها فوجدته وقلبت صفحاته
حتى وصلت الى صحيفة ١٣٧ . . . حيث قرأت لها :

( ان البلاد التي يطلق عليها الآن اسم « المكسيك » . . . .
الى آخر ما في العبارة . . . ولا ينقص الباحث في هذه الاطلال
غير المال ثم الصبر والأناة )

كنت أقرأ باهتمام وقد لاحظت أيضاً ان لوسي أصغت
الي بشغف كبير فما انتهيت من القراءة حتى قالت :

ان هذا مدهش ولكن أتظن ان مثل هذا الكنز يوجد
ويمكن العثور عليه ؟

انى أظن ذلك بل أعتقد أنه صحيح والا فان المؤلف لم يأت
بهذا عبثاً وانما عن أصل ومع ذلك فالمعروف ان ما يوجد باطلال
مكسيكو من الآثار لم يكتشف جميعه بعد وعلاوة على ذلك
فكلنا يسلم ان الملك « منتزوما » كان أعظم ملك حكم بلاد
المكسيك ومع ذلك فاننا لم نر له من الآثار ما يوازى هذه
العظمة التي ينسبونها اليه فلابد وان تكون تحفه ومقتنياته وآثاره
لا تزال دفينة المخابىء والاغوار .

وما الذى كنت تفكر فيه يارولاند من قبل ؟

كنت اريد ان احوز شرف اكتشاف هذا الكنز العظيم !

ولكن !

ولكن ماذا ؟

ولكن لا ينقص الباحث غير المال وهو ماحال دون تحقيق أمنيتى فى ذلك الحين !

وأما الآن ؟

الآن لدينا من المال مايكفينا للقيام بهذا المشروع الجليل الذى قد نصيب منه فى آن واحد ثروة طائلة وشهرة خالدة ! ؟

هذا صحيح ولكن ألست ترى فى هذا العمل مخاطرة قد تضيع منا جزءا كبيراً من المال بلا جدوى ؟

كلا ، ان قلبي يشعر ويعتقد تماماً ان هذا الكنز موجود ولقد صممت نهائياً على انفاذ هذا المشروع فهل ترين بأساً من ذلك ؟

أما المشروع فلا استطيع ان أنكر انه ذو بال وجدير بالاهتمام ولكنى أخاف الفشل ؟ !

لا ، يالوسى ، فلتطمئنى وثقي بفوزنا فان نفسى تحدثنى بأننا

ستنجح وما عليك الا ان تمديني بروحك القوية السامية ...
لك كل معونة مني يارولاند فهل تنوي القيام بهذا العمل ؟
في هذه الايام
عين الوقت ؟
انى أرى انه عند مانصل في رحلتنا الى مدينة سيوفورد نأخذ منها السكة الحديدية الاهلية الى مدينة مكسيكو عاصمة هذه البلاد وحيث توجد هذه الاطلال العتيقة ونباشر السعي توا في التماس أمر من مصلحة الآثار بالبحث والتنقيب حتى اذا ما انتهينا من مهمتنا وعثرنا على شيء عدنا الى اتمام رحلتنا حسب برنامجنا الاول ثم نرحل الى فرنسا
هذا جميل جداً .

قضينا يومين بمدينة واشنجطون شاهدت فيهما لوسي مناظر العاصمة الامريكية ومبانيها ودور حكومتها وغير ذلك ثم استأنفنا سفرنا في اليوم الثالث قاصدين سيوفورد فمكسيكو

أخذ القطار يخترق مقاطعة فرجينا وهي ولاية زراعية خصبة ، حيث كانت مزارع القمح والحبوب المختلفة تمتد على طول الطريق كما تمتد في الجانب الآخر مزارع الطباق وكانت

أهم المدن التى مررنا بها في هذه المقاطعة هى مدينة رتشمند وهى عاصمة الولاية وبها معامل هائلة لطباق ولفائف السجائر ، ثم أخذ الخط الحديدى ينساب بين سهول المحيط الاطلسى وخليج المكسيك ونهر المسيسبي وهى جميعها أقاليم زراعية فرأينا مزارع الارز لأول مرة حول مدينة ماكن بولاية كارولنيا الجنوبية ثم مزارع القطن الجزرى التى هى أجود أنواع قطن أمريكا وفي هذه الجهات لاحظنا أيضاً لاول مرة كثرة العبيد بين سكان هذه الولاية التي انتقلنا منها الى أشهر ولايات الخليج بالزراعة والصناعة وتلك هى ولاية الباما التى تفوق جميع الولايات الجنوبية بثروتها المعدنية ويظهر انها مثل كارولينا غالبية سكانها من الجنس الاسود ، وأشهر مامررنا به فيها من المدن هما مدينتا منتجمرى وممبيل والاخيرة هى عاصمة الولايات التجارية وثغرهم للقطن حيث ينسج بها وكلا المدينتين واقعتين على نهر صغير يعبره الخط الحديدي الى مدينة نيواورليانز التى تقع عند مبدأ الخط الحديدى الباسفيكى وتسمى هذه المدينة ايضا باسم « الهلال » وهي اهم ميناء لتصدير القطن ، وقد امضينا بها نحو يوم وفى المساء ركبنا القطار الى مدينة هوستن ومنها وصلنا الى مدينة سيوفورد فى اليوم

التالى ثم عبرنا نهر ريو جراند حيث اصبحنا داخل حدود البلاد المكسيكية فأتخذنا الخط الحديدى الاهلى الى مدينة مكسيكو فمررنا بمدينتى تشهواهوا ولردو ثم الى العاصمة وكان قد مضى على قيامنا من نيويورك نحو اسبوع كامل

وصلنا مدينة مكسيكو قبيل الظهر فقصدنا توّاً احد فنادقها الشهيرة وبعد أن استرحنا قليلا من عناء السفر قضينا بضعة ساعات فى التجول فى انحاء المدينة ومشاهدة شوارعها وأهلها وهى مدينة ذات موقع جميل وجو معتدل وتضارع كثيرا من كبريات المدن في العالم

وفي صباح اليوم التالى قصدنا أطلال المدينة حيث فحصناها فحصا تاما ثم عدنا الى مصلحة الآثار فقدمت طلباً للتصريح لى بالتنقيب فى تلك الاطلال وقد حصلت على وعد من الادارة المختصة بتلقى رد منها على هذا الطلب فى خلال اسبوع .

انتظرت بفروغ صبر مضى هذا الاسبوع وقد تمكنت فى خلاله من أعادة فحص تلك الاطلال التي هى عبارة عن خرائب مرتفعة تكون أكواماً عالية تبرز منها أعمدة ضخمة وجدران هائلة تدل على عظمتها الغابرة ومجدها السالف . ولقد استلفت بصرى

نقوش هذه الاعمدة التى تدل على مهارة صناعها وحذقهم كما استرعى نظرى أيضاً بعض نقوش اخرى تشبه كثيراً نقوش لغة المصريين القدماء أى اللغة الهيروغليفية وقد فهمت من بين رموزها انها بعض كتاباتهم .

انقضى الاسبوع وعدت ثانية الى مصلحة الآثار ولحسن الحظ وجدت أن الطلب قبل وان المسألة موقوفة على كتابة العقد واثبات شخصيتى لدى حكومة المكسيك للتثبت من أمرى وايجاد ضمان كاف بذلك وكان هذا امراً ميسورا لدى فلقد قدمت اليوم شهاداتى المدرسية من جامعة باريس ثم اوراق الباسبورتات وغيرها وسحبت شهادة بالتلغراف من مدير المصرف الامريكى الفرنسوى بنيويورك تثبت توظفى به فى العام الماضى ، فلما قدمت كل هذه الاوراق واكتفوا بصحتها اتممت كتابة العقد بينى وبين مصلحة الآثار وأهم مواده ان لى حق ملكية نصف ما أجده من الآثار والكنوز واذا أبت الحكومة تسليمه فعليها أن تدفع لى تعويضاً ماليا بقيمة ماتمتنع عن تسليمه وبعد تمام العقد خول لى حق البحث والتنقيب فى جميع اطلال المدينة بدون أى معارضة وبمصاريفه على حسابى دون مسئولية الحكومة فى دفع شىء ما

# ٣١

## بين الاطلال

في مثل اليوم التالى من الاسبوع الذى حصلت فيه من حكومة المكسيك على تصريح الحفر والتنقيب فى اطلال مدينة الازتيك القديمة بدأت اعمال البحث وقد استأجرت من العمال أكثر من ثلاثين عاملا ، وابتدأنا عملنا فى وسط هذه الاطلال تماماً كما وصف لنا الكتاب التاريخي موقع هذا الكنز واستمر مدى هذه العملية الشاقة اكثر من ثلاثة اسابيع حتى كدنا نشق الاطلال شطرين ومع ذلك لم تظهر لنا أية علامة عن وجود أى أثر ولذلك انحرفنا قليلا فى الحفر نحو جهة الغرب وقد عللت نفسى بأنه قد يكون قدماء المكسيك كانوا يبنون مقابرهم جهة الغرب حيث تغيب الشمس معبودهم الاعظم ، ولقد ابلغت العمال أيضاً الى خمسين عاملا واخذنا نباشر الحفر في دائرة قطرها عشرين متراً وبعد نحو عشرة ايام لاحظنا على عمق عشرة أمتار أثر طريق كان

مرصوفاً بالاحجار الصغيرة فاشتدت عزيمتي اذ ذاك وقويت في
نفس روح الأمل على انى احترت فى اتجاه الحفر فلقد كان الطريق
متجها نحو الشرق والغرب ولذلك قسمت فرقة العمال الي قسمين
جعلت ثلثها جهة الشرق والثلثين الباقيين جهة الغرب ومكثنا
كذلك بضعة أيام حتى انقطع منا أثر الجهة الشرقية فأهملناها
وحولنا قوتنا جميعاً نحو الغرب فظل العمل سائراً بنشاط وشدة
مدة أخذ فيها الطريق يسير نحو الجهة الغربية الجنوبية وكان قد
مضى بنا اذ ذاك نحوا من ستة اسابيع ونحن على هذا المنوال
واستمرت عملية الحفر تصعب فى الايام الاخيرة قليلا قليلا لصلابة
الارض وتراكم كثير من قطع الصخور الضخمة واخيراً بعد مضى
اسبوع آخر رأينا الطريق ينحدر شيئا فشيئاً وظل كذلك نحو
اثنى عشر متراً عثرنا فى نهايتها على قطعة مستطيلة من الحجر تبيناها
فتحققنا انها احدي درجات سلم صخرى وفى غضون يومين اخذت
تبدو الدرجات الواحدة بعد الاخري حتى بلغت احدي وعشرين
درجة انتهت عند دهليز واسع تظلله صخرة جبلية هائلة وما كان
اشد عجبنا واعظم بهجتنا انا ولوسى عند ما راينا فى طرف هذا الدهليز
من الجهة اليسرى باباً خفيا من طراز ابواب المعابد والهياكل القديمة

هنا صحت صيحة الفرح والانتصار وقد اخذ منا العجب والذهول مأخذه واقتربنا من الباب وبواسطة الرموز القليلة التي استطعت حلها علمت انه هيكل لأسرة الازاتقة الملوكية

في ذلك اليوم صرفت جميع العمال ولم أبق منهم غير خمسة وقد منحت كلا منهم دولارين زيادة عما يستحق من الاجر ، ثم ارسلت في طلب نجار ماهر من المدينة وبعد نحو ساعة جاء النجار ومعه عدده وادواته وظللنا نعالج باب الهيكل زهاء ثلاث ساعات بكل دقة وحذر حتي نحافظ على شكله الاصلي وبعد هذه المحاولة الطويلة انفتح الباب واندفع الهواء الفاسد يخرج من الداخل على انى لم اكن اطيق صبراً على الوقوف فأسرعت بالدخول واذا بى اراني وسط صالة سداسية الشكل تلتف حولها ستة حجر ذات ابواب ضخمة ولم اكد ارفع بصري الي الجدران حتى بهرتني النقوش ذات الالوان الزاهية البديعة التي تضيء ارجاء الحوائط بلمعاتها ، على اني لم اجد داخل هذه الصالة شيئا يذكر من الآثار اللهم الا بضع قطع من القماش البالية معلقة على الجدران وعليها بعض الرسوم التي محت معالمها الايام

نظرت نحو لوسي في ذلك الحين فرأيتها تصور دهليز الهيكل

وأبواب الغرف بآلة تصويرها التى كانت تحملها معها منذ الساعة التى عثرنا فيها فى خلال الايام الفائتة على الاحدى وعشرين درجة التى انتهت بنا الى هذا الهيكل وكذلك فقد قامت لوسى بخدمة جليلة جدا وهى تصوير جميع ماعثرنا عليه من الآثار .

قضينا بقية اليوم فى معالجة فتح ابواب الغرف الستة ونظرنا الى ما فى داخلها من الآثار نظرة سطحية فقد كانت اضواء الشمس قد اخذت تتلون بلون الشفق الجميل فعدنا الى المنزل بعد ان عززنا حراسة المكان بقوة عسكرية كبيرة طلبتها من بوليس العاصمة .

وفى مساء هذا اليوم ارسلت دعوة بمعرفة مصلحة الآثار لنحو خمسين مدعواً من الاعيان والوزراء وكبار رجال الحكومة من القناصل وممثلى الدول ومكاتبى الصحف وغيرهم لحضور حفلة افتتاح الهيكل افتتاحا رسمياوقد حددنا الموعد فى الساعة التاسعة من صباح يوم ٥ اكتوبر وبذلك لم يبق عنه غير يوم واحد .

لا تسألنى كم كان سرورى انا ولوسى فى ذلك المساء وكم شيدنا من قصور الآمال والاحلام اللذيذة المذبة .

اننا سنصبح يالوسى من كبار أغنياء العالم ولن يمض يوم

حتى نصبح مالكين لملايين الجنيهات وقناطير الذهب

نعم ، ما اسعدنا يارولاند ، فلقد ذقنا من مرارة العذاب ومشاق السفر والتشريد الشيء الكثير وكذلك يجزي الله الصابرين .

ألست تعتقدين ان الحب الطاهر هو الذى ساقنا الى كل تلك الثروة وهو الذى سيرفع بنا أيضا الى أعلى قمم الفخر والشهرة فى انحاء المعمورة وعما قريب ستبلغ هذه الشهرة واهلنا ومواطنينا فى أرض فرنسا المحبوبة فتملأ نفوسهم الكبرياء بنا ويعلون الرأس فخرا بمجدنا

أجل ، ما أصدق قولك يارولاند فى رسالتك الأولى لى بباريس من ان الحب عظيم وعمله عظيم ، يحبب الى النفوس الرفعة والعظمة . .

ابتسمت وقلت ألا ترين أن ثروتنا وعظمتنا وشهرتنا ستفوق ماحازه والدك الكونت فى سنى عمره الطويلة ، وأن رولاند الذى كان يعتبره أبوك انه ذلك الشاب المعدم الفقير الخامل سيصبح أو اصبح ذلك الثرى الشهير الذى ستحفظ اسمه افراد الملايين العديدة من سكان هذه الدنيا ، والذى سيخلد التاريخ ذكر

أعماله المجيدة في اطلال المكسيك ، أليست هذه هي جميع الآمال الكبار والأماني الحسان التي حدثتك عنها والتي قلت انها كانت علاً نفسي !؟ ألا ترين يالوسي أن الله من علينا بتحقيقها وأننا بعد قليل سنصير أسعد مخلوقين في هذا العالم ؟ .

ذلك حق يارولاند ، ودعنا نتضرع الى الله أن يتم علينا نعمته وسعادتنا فدعونا الله ثم ذهبنا الى فراشنا فنمنا نوما هادئا حتى الصباح واستمرينا طول اليوم التالى نعد في معدات حفلة الافتتاح

# ٢٣

# الكنز

في منتصف الساعة العاشرة تماماً من صباح يوم ١٥ اكتوبر كان جميع المدعوين لحفلة الافتتاح الرسمية قد حضروا يتقدمهم ولى عهد البلاد فاستأذنتهم ثم تقدمت نحو باب الهيكل وفتحته على مصراعيه فدخلوا الى دهليز الحجر حيث جذبت أنظارهم النقوش البديعة التي فوق الجدران .

تقدمنا الى الحجرة الأولى من جهة اليمين وفتحناها فرأينا فيها تابوت الملك وعلى رأس هذا التابوت تمثال من الصخر متوسط الحجم وهو يشبه كثيراً في ملامحه الصور التي لدينا للملك ( متزوما ) الذى اكتشفت هذه البلاد في عهده على يد الاسبانيين .

لم يكن في هذه الحجرة غير هذا التمثال والتابوت وهو الذى فحصناه فوجدناه فارغا فعرفنا من ذلك أن الملك كان أعد هذا التابوت لنفسه قبل موته فلما وقع في قبضة الاسبان وقتلوه لم يدفن طبعا به ، ولم يكن على جدران هذه الحجرة أيضا من

الرسوم والنقوش غير صورة قرص الشمس وأشعة الشفق الاحمر حوله وهي منقوشة على الجدار الغربي

أنتقلنا الي الحجرة المجاورة فرأينا في وسطها قطعة صخرية منحوتة وقائمة على أربعة أرجل تشبه الأسد وفي سطح هذه القطعة جزء أجوف مثبت فى نهاية تمثال صغير يشير بيده نحو الجهة الشرقية حيث كانت صورة الشمس المشرقة تشع بأضوائها الذهبية وقد عرفنا من وجود هذه القطعة الصخرية أن هذه الغرفة كانت خاصة بتقديم القرابين والذبائح للمعبود الأعظم ، ثم وجدنا بضعة أواني فخارية جميلة الصنع تشهد على حذق المكسيكيون أو اهل الازتيك فى هذا الفن ، وكان أبدع هذه الاوانى اربعة اواني على شكل تماثيل على صورة أنسان أحدب تماثل كثيرا الحدب من أهل امريكا وأوربا ، على ان اثمن هذه الاوانى جميعها كانت آنية مصنوعة من الزمرد يبرز فى اعلاها رأس رجل ركبتاه مطويتان بحيث ان فم الآنية يكون حدبة الرجل فى أعلى ظهره لم اكد افتح الحجرة الثالثة حتى بهرت أبصارنا بلمعان ذهبي ساطع يضيء من جوانب الغرفة حتى تخيلنا أننا نرتد الى الوراء وكان منظرها فى ذلك الحين مغايرا او اكثر بهاء من منظرها عندما فتحتها لاول

مرة اول امس — تقدمت الى الأمام فاذا بقدمى تطأ من تحتها
طبقة لينة ، ورأيت حولى ثلاث تماثيل ذهبية قامة كل منها نحو متر
واحد وكان التمثالان اللذان فى الجهة الغربية والبحريه متماثلان
وهما يصوران الملك واقفا بيده صولجان وأما الثالث فكان يمثل الملك
وهو جالس على عرشه فكان هذا التمثال هو ابدع ما رأته العين وأما
الجهة الشرقية فقد كان يبرز منها بناء على شكل محراب صغير ومن
هنا علمنا أن هذه الحجرة كانت خاصة بعبادة الملك وأما الطبقة اللينة
التى كانت تغطى الارض فكانت نسيجا كثيفا من القطن ذا وبرة سميكة
على شكل بساط مما نراه اليوم ولكنه اقل اتقانا وصنعا. وكان لونه
اصفر ذهبيا كلون اضواء الشمس ويدور حول هذا البساط إطار
من الجلد يقرب من نصف متر ، ثم رأينا فوق هذا البساط متكأين
مصنوعين من خشب الكابلى المغطى بطبقة من الذهب المطروق
ومنقوش فوقها بعض نقوش واشكال دينية غريبة كما وجدنا ايضا
تحت احد هذين المتكأين صندوقا جميلا مزخرفا غاية فى الاتقان
ولشد ما دهشنا عندما فتحناه فوجدنا به جمجمتين احدهما حقيقية
أى أصلها جمجمة بشريه ومرصعة بالحجارة الكريمة وقد فهمت لاول
وهلة انها جمجمة أحد عظماء الازتيك حفظوها كرمز عندهم وهى

عادة قديمة لا زلنا نراها حتى اليوم عند القبائل المتوحشه وأما الجمجمة الثانية فكانت كلها مكونه من الحجارة الكريمة وهي اصغر حجما من الاولى وتدل على نبوغ اهل قدماء المكسيكين فى الاشتغال بفن الحجارة الكريمة والتنميق .

انتقلنا بعد ذلك الى الحجرة الرابعة فرأينا فيها عدة صناديق الواحد فوق الآخر ولما كنت لم اعدها اول امس عند فتح الباب اذ كان امسى الوقت وهجمت جيوش الظلام فانى قد احصيتها اليوم فوجدتها تبلغ اثنى عشر صندوقا مكعب الواحد منها نحو ثلاثة ارباع المتر وكلها مصنوعة من خشب البقم السميك ثم رأينا مع هذه الصناديق عددا وافرا من الاقواس والنشاب مبعثرة فى هذه الحجرة وكذلك عددا آخر من حراب غريبة الشكل مصنوع بعضها من النحاس والبعض الآخر من الخشب وفى طرفه سن مدبب من النحاس ولم نر غير ذلك على أنى كنت تواقا لمعرفة محتويات هذه الصناديق ولذلك قد عالجت فتح أحدها وفى خلال عشرة دقائق رأيت من حولى يضطربون عند صرخة صرختها اذ قلت : الذهب ! الذهب !! اذ أنى فى الحقيقة لم اتمالك شعورى عند ما رأيت أن الصندوق مملوءاً بقطع عملة ذهبية رباعية الشكل عليها بعض النقوش القديمة

وكانت دهشة المدعوين عظيمة جدا حتى انهم فتحوا افواههم جميعا ذهولا واستغرابا وهنا تقدمت فتناولت بعض هذه العملة وقدمت لكل من الحاضرين ثلاث قطع منها بصفة هدية فتقبلوها منى شاكرين .

لم يبق لدينا غير الحجرة الخامسة والأخيرة ، أما الحجرة الخامسة فانها كانت تضم اليها أجمل الاثار من الوجهة الصناعية والتاريخية فلقد بهرت أبصارنا بالاوانى الذهبية العديدة المكدسة فوق بعضها ، منها ما كان مستعملا للزينة ومنها ما كان مستعملا للطعام وبين هذه الاوانى الم يدة عدة اوانى مرمرية وخزفية لاعجب اذا قلت إن الانسان يقف أمامها حائرا لدقة صنعها ونحتها ، وأبدع ما رأيناه في هذه الحجرة كرسى كبير وهو على شكل ( فوتيل ) ويظهر انه كان خاصا بالملك بل قد يكون هو عرشه الذى كان يجلس عليه فأنه كان يشبه تماما الكرسى الذهبي الجالس عليه التمثال فى الحجرة الثالثة وهذا الكرسى أو العرش جميعه من الذهب الخالص المرصع بالاحجار الكريمة ومنقوش على ظهره صورة قرص الشمس وهي مرسلة اضواءها فوق الافق ثم منقوش فى قمة الكرسى وعلى اطراف متكآت الذراعين اسم الملك ( منتزوما )

وقد وجدنا فوق هذا الكرسي صندوقا كبيرا فيه بعض الملابس الموشاة بنسيج الذهب وهي تدل على شدة إتقان ومتانة النسيج في ذلك الزمن ، اذ أنها كانت حافظة لجدتها تقريبا ، ثم رأينا عند أقدام الكرسي صندوقا آخر وجدنا فيه حليا عديدة يظهر أنها كانت خاصة بالملك والملكة مما كنا شاهدنا جواهر هما القيمة والتي كان من بينها تاج الملك وهو أثمن ما في هذه المقتنيات وكان منمقا بالحجارة الكريمة ، ثم خنجر من الذهب المرصع بالفصوص الغالية وهو آية في الأبداع ويظهر أن الملك كان يستعمله ضمن حلى زينته .

وكان آخر ما متعنا به الطرف في هذه الحجرة هو صولجان الملك وعدة عصى غريبه كانت في الزاوية الشرقية من الحجرة وكان معها أيضا النشاب والاسهم التي كان يستعملها الملك .

أما الحجرة الاخيرة وهي المقابلة للحجرة الاولى أي قاعة تابوت الملك فأننا قد عثرنا فيها على تابوت آخر ولكنه كان اصغر حجما من الذي رأيناه أولا ، الا انه كان محكم الاغلاق دليل وجود رفات في داخله ، وقد فهمنا بالقريحة انه تابوت الملكة ثم تحققنا من صحة هذا الظن بواسطة النقوش المكتوبة عليه والتماثيل المبعثرة حوله ، ويظهر

أن الملكة توفيت على أثر وضع لها فقد نقش على ظهر تابوتها صورة امرأة ذات عينين مغمضتين وحاجبين منتفخين واسنان بارزة من فمها المفتوح وهو دليل قرب عهدها بالوفاة ثم ثديين مرتفعين وهو دليل صغر عمرها ثم كتب تحت تلك الصورة هذه العبارة وهي التي اعتادت القابلة أن تلقنها للوالدة اثناء احتضارها وهي :

« قومي واستيقظي من نومك يا ابنتي فالصبح قد بزغ والنهار قد ظهر، قومي واسمعي تغريد العصافير على الاشجار، قفي يا ابنتي وتزيني بحلالك، قفي واذهبي الى تلك الأمكنة التي تسحر الالباب مسكن أبيك الذي هو الشمس، هناك يعيش المرء بفرح وسعادة وسرور وغبطة ، اذهبي مع الشمس محمولة بين ايدي النساء أخواتك اللواتي تسكن السماء وقد ذاقت حلاوة اللذة بصحبة الشمس أبينا جميعا »

وفي الحقيقة أن الولادة كانت معظمه عند الازتيك فما تشعر الزوجة بالحمل حتى يأتي لها أهلها واقرباؤها واصدقاؤها فيهنئونها وما تنتهي من الوضع وتلد طفلا حتى يقيمون الأفراح والحفلات الشائقة وقد كانوا يعظمون هذا الحادث ويستقبلونه بتجلة واحترام لأنهم يعتقدون أنه يزيد في عنصر الدولة وقوتها، كما كانوا يجلون

الوالدة اذا توفت على أثر الولادة ويعدونها كالاه ويصبح اذكراها الفخر والرفعة

وغير هذا وجدنا صندوقا به بقايا ملابس من «اتومه» و«شيلانن» مما نراهما الآن فى بلاد المكسيك ولكن عبثت بها يد الزمان فأبلتها ثم كرسيا من خشب الورد مموه بالذهب ومرسوم عليه اشكال شروق الشمس وغروبها ثم عدة كراسى أخرى مغطاة بجلود بعض الحيوانات، واعجب ماوأينا فى هذه القاعة بضعة تماثيل تعبر عن طرق تشويه الجماجم وذلك ان المكسيكيين كانوا يحبون تشويه شكل جمجمة رأسهم وهذه العادة لاتزال باقية فى بعض الجهات الآن ويختلف التشويه باختلاف البلاد والقبائل فمن شكل مثلث الجوانب بارز الى الوراء الى الجبين مفلطح بحيث أنه يظهر امتداد الأنف، وقد رأينا اذلك من بين هذه التماثيل ،تمثالا يمثل غرابة التشويه وكيفيته وهو يصور أمرأة تعجن رأس ولدها وهى جالسة على الارض وتريد أن تجعل رأس ابنها كشكل رأسها وأبنها جالس فى حضنها ورأسه بين يدى والدته تشوهه بألتين كأنهما مصقلين، ويظهر ان الاطفال كانوا يكرهون هذه العملية فترى من شكل التمثال ان الولد رافع يديه كأنه يصرخ

ويريد ابعاد الذراع الذى يصحبن رأسه ، ولا شك أن هذا التشويه منذ الصغر يكمل بمرور الايام .

وكان من اغراض هذا التشويه عندهم تقوية رؤسهم وجعلها على أشكال مخصوصة لجعلها قادرة على حمل الاثقال فكانوا يربطون في جباههم الأحبال التى يوثقون فيها احمالهم ولقد برعوا في هذه الصناعة اذ اعتادوا رؤية الجماليين منذ القدم اذ أنه بسبب عدم وجود الدواب في بلادهم كانوا يكونون جماعاتاً خصوصية لحمل الاثقال ونقلها من مكان لآخر بدلا من الدواب

وآخر ما طرفنا به من محتويات هذا الكنز المظيم كان تمثالا ذهبيا صغيرا يمثل أحد كهنة المعبد

كانت الساعة في منتصف الواحدة تماما عند ما انتهينا من استطلاع كل مافي الغرف الستة ، فتقدم المدعوون نحوى وأخذوا يهنئونني واحداً بعد واحد ثم انصرفوا وانتهت الحفلة وهم يتحدثون عما شاهدوا من دفائن هذا الكنز الثمينة .

ما كاد خبر هذا الكنز الأثرى العظيم يذاع حتي أنتشر في انحاء العالم من أقصاه الى أقصاه وأخذت أعمدة الصحف وأنهارها تفيض في وصف محتويات هذه الدفائن كما ظل مكاتبو الصحف

والكتاب في المجلات وغيرها تطنب وتعلي من قيمة هذه الآثار ونفاستها ، حتى تحرك العالم أجمع وأخذ السياح من البلاد الامريكية والاوربية وغيرها يتحول نحو بلاد المكسيك لمشاهدة هذه الآثار ، ثم ما كاد يذاع اسمي مقترنا بهذا الكشف العظيم حتى انهالت على برقيات التهنئة من أصدقائي ومعارفي حتى من الكونت نفسه والد لوسي وبقية اهلي وهم الذين لم يكونوا يعلموا أين مقرنا وما آوانا حتى ذلك الوقت . . . .

# ٢٣
## الشهرة

مضى علينا اسبوع بعد حفلة الافتتاح ونحن نعد الصناديق والنقالات وغيرها لصيانة هذه الآثار ونقلها الى متحف مدينة مكسيكو وفى ذلك الوقت كنت لاتجد بصحف العالم ومجلاته غير أخبار هذا الاكتشاف الذى اصبح هو موضوع أحاديث جميع الأندية والمجتمعات والافراد فى كل جهة كما اصبح اسم رولاند أديسون هو موضع أعجاب كل من تحدث :

كنت مساء ذات يوم جالسا فى (صالون) المنزل أدخن سيجارتى واذا بلوسى مقبلة على بخطوات سريعة ووجهها يتهلل سرورا وبشرا وتحمل بيدها صحيفة نيويورك جورنال وهى تقول أنظر يارولاند ، فالقيت نظرة الى الصحيفة التى بيدها فاذانى أرى صورتى وصورة لوسى بجانبها وهما صورتان أخذتا لنا فى العام الماضى بباريس وبعد ذلك تناولت لوسى منى الصحيفة وقالت اسمع سأقرأ ماهو مسطور بشأننا هنا ، فأصغيت اليها وقرأت مايأتى :—

يرى القارىء في أعلى هذا الكلام صورة المكتشف الشهير والاثري الذائع الصيت المسيو رولاند أدعون مكتشف أطلال مدينة مكسيكو أو عاصمة الازتيك القديمة وبجانب صورته صورة صديقته مدموازيل (لوسى دارتوي) كريمة الكونت دارتوى من اشراف الفرنسيين، ولقد نقلنا هاتين الصورتين عن مجلة (لافرانس) التي تصدر بباريس وقد علقت هذه المجلة على هاتين الصورتين قصة جميلة رأينا أن نقتطف منها للقراء الكرام المعلومات الاتية :—

كان المسيو رولاند ادعون من الشبان النوابغ في جامعة باريس ولقد نال شهادة الدكتوراه في الحقوق والعلوم الاقتصادية منذ عام ونصف بفوز باهر كان فيه الاول على جميع اقرانه ونال بذلك مدالية الشرف الذهبية لجامعة باريس ولقد نشأت بينه في ذلك الحين وبين صديقته مدموازيل لوسى علاقات وداد وصداقة متينة أدت الى ارتباطهما برابطة الحب والغرام، على ان الكونت والد مدموازيل لوسى لم يكن يشأ أن يزوج أبنته من المسيو رولاند وكان عازما ان يزوجها من شاب فرنسى آخر ولما الحت عليه الفتاة في العدول عن هذا الرأى وابي عرضت على صديقها المسيو رولاند

فكرة السفر الى امريكا قبل ان ينفذ والدها مشيئته وفعلا فقد غادرا بلادهما بأول باخرة ابحرت اذ ذاك من ميناء الهافر واسمها «بون فوياج» وهي التي ذاع خبر اصطدامها باحدى الثلاجات وغرقها في شهر اغسطس من العام الماضي ، ثم اذاعت بعد ذلك جريدة «نيويورك جورنال» خبر وصول المسيو رولاند مع صديقته الى نيويورك في أحد قوارب النجاة ووصفت المصاعب التي لاقوها في طريقهما مما لا يكاد يتصوره العقل ، حتى وصلا الى ميناء «نيويورك»

وقد تمكنا بعد وصولهما من التوظف بالمصرف الفرنسي الامريكي حيث قضيا به عاما كاملا ، وكان من حسن حظهما ان اشترى المسيو رولاند أحد سندات شركة بنما فربح هذا السند منذ اربعة اشهر تقريبا مبلغ مائة الف دولار ، كانت هي أساس رأس مالهما الحالي الذي تحول الى ملايين الجنيهات بعد هذا الكشف الاثري العظيم الذي باشرا التنقيب عنه على اثر اعتزالهما خدمة المصرف في شهر يوليو الماضي ، فأدى بهما البحث الى العثور على هذه الاثار العظيمة التي خلدت اسم «المسيو رولاند الى الابد بين اسماء العظماء والذي ترى حكومة المكسيك تقيم لتخليد عمله المجيد تمثالا برنزيا

اختارت له مكانا بالردهة المقابلة لدار عادياتها « انتهى

لا أكذبك القول أيها القارئ الكريم ، أنه ما بلغت لوسى من القراءة الى هذا الحد حتى امتلأت نفسى فخرا وكبرياء وكذلك شعرت لوسى بنفس هذه العاطفة فقالت :

ما أعظمك يارولاند من رجل خالد الذكر والاثر ، ألست ترى نفسك أنك بلغت من الرفعة والشهرة شأوا بعيدا .

نعم ياصديقتي وذلك من فضل الله .

والآن وقد تحققت كل آمالنا واصبحنا نملك الملايين من الجنيهات فأنى أبشرك بحياة سعيدة هنيئة لم يحلم بها انسان فى هذا الوجود . ذلك ما ارجو وادعو الله أن يتمه علينا بخير

*
* *

عينت الحكومة المكسيكية فى خلال هذه المدة لجنة فنية للحكم على قيمة هذه الاثار والفصل فى قسمتها بينى وبينها ولقد قدرت اللجنة قيم ماق الحجر الاربع عدا حجرتى التابوت وتقديم القرابين اللتين تنازلت عن نصيبى فيما احتوياه بمبلغ اربعة عشرة مليونا ومائتين وواحد واربعين الفا من الجنيهات وهو بالتفصيل كما يأتى

جنيـــــه

١١٢٠٠٠٠ قيمة محتويات الحجرة الثالثة

٩٠٠٢٥٠٠ « « « الرابعة ( منها ٩ ملايين من العملة القديمة )

٣٥٠٠ « « « الخامسة

٤١١٥٠٠٠ « « « السادسة

١٤٢٤١٠٠٠ الجملة اربعة عشر مليونا ومائتين وواحد واربعين الفا من الجنيهات

ثمنت اللجنة الآثار والاموال التي وجدت بالمبلغ الموضح بعاليه وخصصت لي نصفه وهو مقدار ما استحقه من هذا الكنز طبقا لنصوص التعاقد الذي بيني وبين الحكومة، على ان خزينة الحكومة لم يكن لديها كل هذا المبلغ من الذهب

ولذلك عرضت على أن استلم من العملة الذهبية القديمة التي وجدناها بالكنز بقدر نصيبي ولكني فضلت أن اعطى أوراقا مالية وشيكات وحوالات تحت تصرفي لدى مصارف فرنسا وانجلترا ونيويورك، وفي الحقيقة أني لم استلم غير حوالات بمبلغ سبعة ملايين من الجنيهات فقط. لأن باقي استحقاقي ويبلغ مائة وعشرين الفا وخمسمائة جنيه قد تنازلت عنه نظير أني أخذت بعض الاواني الذهبية والمرمرية وهي التي قدمتها أخيرا كهدية

للمتحف اللوفر بباريس ثم بعض جواهر الملكة وتقدر بنحو مائة ألف جنيه وهذه قدمتها هدية للوسى . . !

بعدما انتهاء التصفية بيني وبين الحكومة المكسيكية عزمت انا ولوسى على اتمام رحلتنا في البلاد الامريكية ثم نعود الى وطننا المحبوب كما كنا عاقدين العزم اولا ، على انه في اليوم الذى عزمت فيه على السفر قابلني مدير مصلحة الاثار بمنزلى ورجاني باسم الحكومة المكسيكية لتأجيل سفرى اسبوعين آخرين اشرف فيهما على اعمال الترميمات الجارية في الهيكل المكتشف اذا صممت الحكومة أخيرا على اصلاحه وابقاء الاثار التى وجدت به في مكانها مؤقتا حيث ان متحف العاصمة ليس به متسع لها ، ثم قدم لى المدير أيضا دعوة من الحكومة لرياسة حفلة افتتاح هذا المتحف الجديد (اى الهيكل) افتتاحا عاما . .

لذلك اضطررت الى تأجيل سفرى حتى يوم ٥ يناير القادم

# ٣٤

## المرض

بينما كان رولاند يشرف على اعمال الاصلاحات الجارية فى بناء الهيكل كما طلبت اليه ذلك حكومة بلاد المكسيك، اذ سقط عليه من طرف البنيان المهدم حجر ثقيل نزل على جانب رأسه الأيمن فهشم عظام جمجمته من هذه الناحية فخر الى الارض مغشياً عليه يتدرج بين سيل يفيض بدمائه فأحدث هذا المشهد المؤلم هرجا شديداً بين العمال الذين هرعوا اليه فحملوه الى داخل الهيكل حيث حاولوا حبس الدم من النزول ولكن عبثا حاولوا حتى حضر الطبيب وكانوا استدعوه من مدينة مكسيكو حال وقوع الحادثة فحضر فى الحال وكان الخبر وصل لوسى أيضا فجاءت في الوقت نفسه مذهوبة الفؤاد وقلبها يخفق خفقانا شديداً مخافة ان يكون أصاب حبيبها شر :

ضمد الطبيب جراح رولاند وأجرى له الاسعافات الضرورية ولازمه حتي أفاق من غيبوبته ثم أمر بنقله الي منزله بالمدينة

فنقل حيث كانت صديقته لوسى تقوم له كممرضة ماهرة لأنها كانت قد مارست فن التمريض فى مستشفى باريس بعد برئها من مرضها القتال منذ ثلاثة أعوام ، ولقد استمر الطبيب يعوده يوما بعد يوم وهو يعلل القوم بقرب شفائه ، وقد عاده يوما فقال له أنه خير منه فى الأيام الماضية وأنه يستطيع أن يتنزه خارج منزله فى الهواء العليل وبين الخضرة الناضرة ، فرافقته لوسى فى مركبة الى خارج المدينة ، ساعة أخذا يتمتعان فيها الطرف بجمال الطبيعة ومشاهدها التى أثارت فى قلبيهما عواطف الحب والغرام فظلا يتناجيان ويتصوران من حياة الهناءة المستقبلة مالم ينعم به مخلوق بعد :

أجل يالوسى ، لقد اصبحنا الآن من اصحاب الملايين فلن يقصر عن متناول يدنا شىء فى هذا العالم ، سيكون لنا قصر منيف يتحدث بجماله جميع الناس ، سنقيمه على ضفاف نهر السين بجوار مدينة باريس المحبوبة ، سيكون هذا القصر جامعا لكل شىء من لذائذ الحياة ونعمائها وسيكون لدينا خدم وحشم ومركبات وخيول وسيارات ومزارع وضياع ومعامل ومصانع وبالاختصار سنكون من اغنى اهل اوربا ، وسيكون لنا يخت كبير نشق به عباب

البحار والمحيطات حيثما شئنا وايثما ذهبنا ، سنسعد ونحيا حياة هنيئة طيبه ترفرف عليها اجنحة الحب والسلام ، وكذلك ستتحدث عن خيراتنا واحساناتنا السخية جميع الأصدقاء والاعداء ، سنبذل ونعطى ونواسى البؤساء والاشقياء ، وهكذا سنخلد لنا ذكرى حية طيبة فى عالم الخير والاحسان كما خلدناها من قبل فى عالم الشهرة والعظمة .

عزيزتى لوسى ، كم أحبك ويبتهج قلبى كلما رأيتك بجانبى ، بل ان قلبى طافح بحبك وليس فيه متسع المزيد ، بل هو يزيد الساعة بعد الساعة ولا ينقصه الا ان يتحد بك اتحادا ابديا لا يفت فيه كر الاعوام والايام .

ماذا عساني يارولاند أن اقول لك من كلمات الحب وأنا لا أجد مايفي بالتعبير عما تكنه نفسى من الغرام بك والوله بحبك ، انك لاتدرك مبلغ حبي لك ، ولو ادركته لادهشك تبريح الوجد بى ، وكيف اصبر نفسى الى ذلك اليوم الذي نرى فيه سماء احلامنا منيره بضياء الحقيقة فيتم هناؤنا ونجتمع اجتماعا لا افتراق بعده ، واذا كان حبك لى هو بمقدار حبى لك فاى سبيل للاحزان يتسرب اليك ابشر يارولاند ودع سحابة الكآبة تنقشع عن وجهك فانك باذن

الله ستشفى من مصابك وتبرأ من مرضك وتعود اليك قوتك ثم ترى امام عينيك ان الحياة لاتزال زاهية زاهرة .

رولاند ! ان الحب شريف طاهر فهو طريق العروج الى الله ومن كان قريبا من الله ومن سمواته فهو قريب من الرحمة بل وهو متشبع بها ممزوج بلبابها ، لذا كان الحب أرحم بنا من أن يفجعنا فى آمالنا ويقضى على أمانينا

لقد فتحنا له قلوبنا على مصارعها طول هذه الأعوام المديدة فنشأنا معه أطفالا وصبية وفتيانا ثم شبانا و كذلك بنت بين يديه تلك القلوب الخافقة كل آمالها الحسان وأمانيها الحلوة فهل يرضى الحب بعد أن تمهد تلك الآمال بالنماء أن يقف فى طريقه ويرتد عنها او هل يرضى لنفسه خيانة العهد مع قلبين قد تعاقدا معه على أن يناصرهما و يعاونهما حتى يبلغا ذروة أمانيهما ؟

لا ، انى لا أظن أنه يقبل لمقامه الاسمى ذلك المآل الدنيء فهو سيمضى فى طريقه الشريف وسيتضرع الى الآلهة ونحن من ورائه نأخذ بيده أن تبعد عنا الاقدار شرورها وبلاياها ، والآن فلندعو الله يارولاند أن يعجل بشفائك ويدنينا من غايتنا ومقصدنا النبيل .

وكذلك أخذ رولاند ورفيقته يتناجيان ساعة طويلة من الزمن ثم عادا ثانية الى منزلهما عند غروب الشمس وفى ذلك المساء نام رولاند نوما هادئا .

عاد الطبيب فى الصباح فرأى على محيا رولاند علائم القوة والنشاط وسيمى البهجة والسرور فهنأه بالصحة وبشره بقرب أبلاله من مرضه .

ثم قضي رولاند طول يومه مسروراً مبتهجاً ولوسى بجانبه تحادثه وتواسيه وتبثه غرامها ويبثها غرامه وعلى هذا المنوال أمضيا الوقت حتى أرخى الليل سدائل الظلام فآويا الى فراشهما وغرقا في سبات عميق حتى النصف الاخير من الليل فشعر رولاند بألم يضنيه ويؤلمه من حيث لايدرى فنادى على رفيقته من الحجرة المجاورة فأسرعت الى النداء وهي تضطرب فى ثيابها فلما وصلت الى جانبه وسمعت أن دقات قلبه سائرة بنظام حمدت الله ثم سألته عن شكاته فحدثها عن ألمه الفجائي الذى سرى فى جسمه فجسمت نبضه فوجدته عادياً ولم تلاحظ غير أرتفاع درجة حرارته إرتفاعا طفيفا لايستوجب استدعاء الطبيب فأخذت تلاطفه وتسامره حتي بددت ضياء الفجر ظلمات الليل والقت الغزالة عن

وجهها النقاب فأضاءت بأنوارها أرجاء الافق فأيقظت الازهار من سنتها والطيور من غفلتها وأخذت الكائنات تمسح عن جفونها سنة الكري وكذلك ملأت الدنيا حركة وبهجة فعاد اليها بهاؤها .

حضر الطبيب في الضحي وظل يبحث عن مكان الداء في رولاند ولم تمض برهة حتى اسقط في يده ودخل الهم الى قلبه اذ علم ان مكروبا ساماً من جرح رأسه قد سرى في مجرى دمه فسممه ومن جراء هذا ارتفعت درجة حرارة جسمه هذا الارتفاع الفجائي وقبل ان يخرج من قاعة المريض نظر اليه وابتسم له ابتسامة من وراء قلب كليم وشجعه وهون عليه أمره وانصرف وهو يحمل بين جنبيه هماً أليماً لما أصاب هذا النابغة من القدر وداهمه من مرض عضال أخذ يتمشى في جسمه تمشياً سريعاً حارت فيه قدرته وقدرة غيره من الاطباء .

ولم يمض يوم حتي كان مرض رولاند قد انتقل من دائرة نطس الاطباء الي تصريف القدر ومشيئة الرحمن فأمسى أمره موكولا الى إرادة القضاء . . .

# ٢٥

# الهذيان

أخذ المرض يشتد برولاند اشتداد اللهيب في صميم الحطب واستعار الحب في سويداء القلوب فكان يغيب عن العالم ساعات طويلة وهو يهذي ويتكلم من حيث لايدري ولا يعلم ماذا يقول ولقد كان من بين لياليه ليلة ليلاء ، ما كان أطولها عليه واشدها على نفسه الرقيقة وروحه المعذبة ، فذرفت له العيون أي اذراف وبكته المقل أي بكاء وأدمت له الحشاشة فذابت والاكباد فتفتتت ، قال فيما كان يهذي :—

دعوني أغمض عيني فقد مللت طول هذه اليقظة

دعوني استسلم الى الكرى فقد تعبت جفوني من هذا السهاد

دعوني أسند رأسي الى أحضان الابدية حيث السكينة والخلود

دعوني أرقد تحت أجنحة الهدوء ولذة الراحة فقد أعيت جسمي متاعب هذه الحياة وآلامها

تعالوا انثروا الزهر حولي وانظروا كيف تخلع الروح ثوب شبابها متهللة مستبشرة للقاء وجه ربها الكريم !؟

هاهي تترقرق بين الشفاه تريد الخلاص من ذلك القفص الضيق حيث دامت فيه ثلاثين عاما تسام الشر وخسف العذاب

هيا اغمضوا جفني ودعوا شفاهكم تودعها لثماتها الاخيرة

تعالوا ايها الفتيان استودعوا رفيق صباكم التحية الأبدية وسلام الوداع ، وأنتن أيتها الفتيات أغمرنه في ساعته الاخيرة بعطف قاو بكن المستفيض ، وأنتم ايها الشيوخ هيافباركوا بأيديكم الناحلة في سيقف بين يدي ربه بعد دقائق معدودة ، تعالوا افزودوه بحكمة الاجيال الماضيه قبل ان يتنسم نفسه الاخير في هذه الحياة .

قفوا جميعا حوله واذكروا الله وجلاله ، اذكروا الموت وهيبته اذكروا الماضي وحسناته ، ثم اقرأوا ماتخطه أيدي الابدية على جبينه .

وأنت ياحبيبتي لوسي ، تعالي ، اقتربي مني ، وطوقي عنقي بذراعيك ثم دعيني اسكب نفسي في نفسك واتزود لحياتي الاخيرة من عذب غرامك ، تعالي فاسمعي دقات قلبي وهي تنبض باسمك وتردد نغمة حبك ، أنصتي قليلا تسمعي صوت حشاشتي وهي تفري

لفراقك وكبدي وهو يحترق للنأى عنك ، آه يامهجتي ويا آمالى ،
يقولون أن الارواح خالدة باقية ولكنى لاأظن أن روحى كذلك
لانها ستفنى ايضاً فى عالمها الاخير عندما تشعر بتلك المسافات
الشاسعة التى أنأتها عنك وحرمتها رؤياهالك ومناجاتها لفؤادك ،
أجل يالوسى فليس بعد فراقك بقاء أو خلود وانما ذهاب وفناء .

تعالى اسعدينى بنظرة أغمض بعدها عينى فتكون هى كل
ذخرى من الحياة !

---

لوسى ، تعالى وانظرى كيف يفارق الانسان الحياة والحب لا
يفترق منه لان الحب هو من روح الله وروح الله خالدة باقية فالحب
خالد باق ، لاتظنى أن حبك سيفنى بفناء هذا القلب الذى ستأكله
جوانب القبر ويلتهمه أديم الارض ، لا ، لا ، بل ان ذرات هذا القلب
المتفتت المتآكل المختلط مع ذرات الثرى سيترعرع وينبت ازهارا
تعطر الفضاء بأريجها الممزوج بالغرام أو تنتشر مع الهواء والرياح
تسبح بحبك فى كل ارجاء هذا الكون وانحاء هذه المعمورة .

لوسى ، عيشى وقرى واحيى حياة سعيدة هنيئة فحسبي سعادة
في حياتى الاخيرة ان اسمع عنك انك تتمتعين بحياة راضية صافية ،
بل وحسبي ان روحى السابحة فى الجو الحلقة فى الفضاء تراك

تتعهدين قبري بالزيارة فتندوى عليه اسباغ رحمتك ورضوانك :

سلام عليك ياوسى الى حين اللقاء ، سلام موعدنا منه فى عالم البقاء ، سلام تحمله اليك اضواء الشمس فى اليقظة وشفاه الملائكة فى الاحلام

وأنتم ياأخوتى تعالوا ودعوا قبلاتكم تلتقى بأنفاسى الضعيفة تقدموا الاسر لكم كلمتى الاخيرة :

امسحوا الدموع عن أجفانكم وانظروا الى السماء استمطروها الرحمة والرضوان . دعوا المحبة تربط قلوبكم وتقرب نفوسكم وتحبب اليكم الحياة ولتسكن العمل والجهاد فى هذا العالم رائدكم والعلياء مطمح نفوسكم ، كدوا وخلدوا ذكرى طيبة من ورائكم ، ولتسيل منابع الرحمة والشفقة من قلوبكم لاهل البؤس والشقاء ، اذكروا المعروف وصنعه والخير وفعله .

اذكروا أمكم المحزونة فقدسوها فى هيكل المحبة والأخلاص أجلوها واعطفوا عليها ، اذكروها بالخير دائماً ، ولا تمسوها بأذى أذكروها وقد ضحت راحتها وهناءها وراء سعادتكم ، سبحوا بحمدها ما حييتم وارفعوها فوق أفئدتكم

ثم اذكروا بالرحمة ابا كان باراً بكم قد ضمته أحضان الأبدية

وهو يتوق لاستنشاق زهرة حياتكم

أذكروا الاهل والاصدقاء وصلوهم العطف والمودة، اذكروا من اسدى اليكم جميلا ومن ذاد عنكم شراه

اذكروا بلادكم والوطن، اذكروا حريتها واستقلالها، أبذلوا مهجكم ونفوسكم في سبيل الذود عنها والعمل على اسعادها لا تجبنوا وكونوا في مقدمة الصفوف وقدموا عن طيب خاطر ورباطة جأش كل شئ حتى الجسد والروح.

اذكروا الله كلما اصابكم خير اونزل بكم شر واسألوه الرحمة والمعونة فهو خير الراحمين

والآن اقتربوا مني جميعا واودعوا شفتي قبلاتكم الحارة.

ها انا قد صرت بعيدا بعيدا جدا عن هذا العالم، لقد توارى عن بصري ذلك الافق ومافيه من بهاء وجمال، هاهي اشعة الشمس الذهبية تذبل أمام عيني وهاهي الطيور المغردة تختفي وراء أوكارها هاهي الخضرة والمزارع يغشاها ثوب الظلام، وهاهي البنيان والمدائن تغور في باطن التراب، هاهي المياه الفضية تجف بين مجاريها وفي قيعانها، وهاهي التلال والوهاد تندك وتندثر فلم يبق من مرتفعاتها او منخفضاتها تجاه عيني من أثر، هاهو كل شئ

يختفى من أمامى ويتوارى وراء ذلك الحجاب الابدى ، ها انا لم أعد اسمع تلك الطيور الشجية ولا صوت النسيم العليل وهو يلثم ثغور الازهار الزكية ، ها قد هدأت نغمات الامواج وخرير المياه وتلاشت اصوات المارة وضجة الرائحين والغادين ، لقد شملنى سكون تام وخيم على هدوء عميق ، لقد صرت بعيداً جداً عن هذا العالم ها هي الارض وما عليها والسماء وما تحتها قد اختفت عن انظارى لقد انتقلت الى عالم آخر وراء هذه القبـة الزرقاء ، الى ذلك العالم الأبدى عالم الأمان والسلام حيث لم أعد أسمع غير تسبيح الارواح بذكر الله ونغمات الملائكة بأناشيد البقاء والخلود .

هيا تعالوا اخلعوا عنى ثوب هـذا العالم الفاني وكفنونى بأوراق الفل والريحان .

انثروا الورد والازهار حولى وجففوا الدموع ولا تندبونى تهللوا وانشدوا الاغانى ولا تزعجوا روحى وهى ترفرف حولكم بصراخكم وعويلكم .

لا تملأوا القلب بأنينكم ولا تعيدوا اليه ذكرى آلام الحياة الماضية .

ابعدوا عنى الأحزان وكفوا نحيبكم فكفى ما أصابنى

ثلاثين عاما .

دعوني أرقد هادئاً بين مضجعي تضمني السكينة وتضمني الراحة الى احضانها

لا ترتدوا السواد حزنا علي بل البسوا البياض فرحا معي .

لا تذكروا غيابي بالغصص والآلام بل حولوا أبصاركم تجاه رسمي تجدوني ماثلا أمامكم او أرسلوا بأشعة عيونكم فيما وراء الخيال تجدوني حاضراً بين ايديكم .

مددوني بين احضان الزهر والاغصان وارفعوني على الاكتاف ثم سيروا بي ببطء الى مدينة الاموات .

هناك بعيداً عن ازدحام القبور ، احفروا لي مرقداً في الثرى قريباً من المياه الجارية والاشجار الباسقة حيث تأتي الطيور المغردة لتأخذ مكانها من اوكارها أو تنتهل من عذب سلسبيلها فتشجي بنغماتها ارجاء القبر الموحش وحيث تنعكس سلاسل الشمس الذهبية او خيوط القمر الفضية فتضيء بنورها ظلمات القبر وتزيل عنه قليلا من مخاوفه .

احفروه عميقا بين طيات الثري حتى يكون بينه وبين ذلك العالم المنكود سداً منيعاً وحاجزاً لا تقوى على هدمه الأيام

ثم واروني التراب وخففوا من ضربات معاولكم ودقات فؤوسكم .

ثم اغرسوا ازهار الفل والياسمين والورد والريحان فوق قبري وحول جوانبه حتى تمطر الجو بأريجها نائرة طيب ثراي الممتزجة برائحة قلبي على جناح النسيم العليل تذكر الغادي والرائح باحلامي الماضية وأمالي السالفة .

والآن فتفرقوا عني بهدوء ولتعودوا ايها المشيعين من الاهل والاصدقاء .

ارجعوا الى منازلكم واهنأوا بحياتكم ، ارجعوا ولا تذكروا يومكم السالف

تناسوه ولا تقيموا له سبيلا الى نفوسكم ، لا تذكروني بل اذا ذكرتموني اذكروا الله وسبحوه واغتبطوا لغبطتي فتلك هي الحياة الخالدة الطاهرة التي طالما تاقت اليها نفسي وها هو المولى جل شأنه قد اختصني برضوانه فرفعني الى جواره دون أترابي فحمدا لك يا الهي وشكرا لهذا الرضوان...

# ٣٦

# الموت

لم يكن الرجاء في شفاء رولاند غير أمنية خلوبا وحلما مكذوبا فلقد دخل في النزع في الليلة التالية لهذيانه ، فكانت صرخاته وتأوهاته الأليمة دليل شدة ماعاناه من العذاب ، كنت تراه يستكين ويستسلم كأنه يسلم الى رسول المنية وديعته وتارة ينتفض ويصرخ كأنه يتشبث بأذيال روحه المرتفعة الى السماء .

نادي باسم «لوسي» مرتين او ثلاثا ونظر تجاهها نظرة فاترة فانحنت نحوه وقبلته قبلة حارة وعندئذ التفت وأشار بأصبعه نحو مكتبه وطلب قرطاسا وقلما فقدمتهما اليه لوسي فأمسك القلم بيد مرتعشة وكتب هذه العبارة «أوصى بنصف أموالي الى صديقتى لوسي أعترافا بوفائها واخلاصها وبالنصف الآخر لأهلي واسرتى» ثم رأته قد ارتمى منهوك القوى على فراشه وأخذت قطرات الدمع تفيض من جفنيه بهدوء ثم فاضت روحه .

اقتربت منه عندئذ ونادته فلم يجبها ، فأسبلت جفنيه وقبلته

قبلة اخرى ثم جثت بجانبه تندبه وهي تختنق بالدموع والعبرات.

واهاً عليك ياعزيزى رولاند ! ماذا عزمت عليه وما الذي وطنت نفسك به . هل أزمعت الرحيل وهل ضاقت بك الدنيا فآليت الا هجرها ، أين وعودك لى يارولاند ؟ هل قبرت حبك هل قتلت تلك النفس التي تشتعل بنار غرامك ؟ هل اطفأت تلك المهجة التى تتقد بلهيب وجدك ؟ هل نسيتنى ؟

وهل تنسى الالهة عبادها ؟ هل ترضى لى الشقاء والآلام من بعدك ؟ ماذا فعلت يارولاند ؟ هل تبدل قلبك من تلك الرحمة الفائضــة الى تلك القسوة القاتلة ؟ هل سولت لك نفسك أن تعيش حسرة ؟ أم هل سئمت رؤياى فأزمعت الا الفراق الابدي أجبنى يارولاند وابتسم وابتهج ، لاحيا بجانبك وأنتعش ببهجتك مالى أراك صامتاً ساكناً ، هل ضعفت عزيمتك ؟ ! وأنت ذلك القوى الشجاع الذي لم تزعزعه العواصف ولا الامواج ولم ترعبه الزلازل ولا الشهب ؟ تيقظ يارولاند وتحدث الى كما كنا نفعل .

هيا نبنى قصور الآمال ونشيد مدائن الامانى والاحلام ، دعنا نناجى القمر فى شروقه والشمس فى غروبها ، تعالى الى نسيم بين الرياض وعلى ضفاف الجداول نمجد الحب ونتعبد الغرام ،

قم واسمع نغمات الطيور وتغريد العصافير وهى تنشد اغانيك وأناشيدك وتغنى بعظمتك وسؤددك .

قم تراهم يشيدون تمثالك الناطق بفضلك الشاهد على عظمتك الخالد بجلائل اعمالك ، قم وحي الجموع التى حولك وهى تهتف فى الفضاء باسمك وتردد تحيتك .

رولاند ، رولاند ، هل نسيت العودة الى ارض فرنسا المحبوبة ، هل نبذتها وهى التى تحبك ؟ رولاند ، اجب الوطن المحبوب ، انه يناديك أن تعالى وشرفه بفخرك ومجدك .

أنظر يارولاند تجدنى فى ثيابى البيضاء متأهبة للزفاف بك تقدم ترى ذراعى ممدودة لمعانقتك ، تيقظ فان ثغرى المتعطش لشفتيك يريد ان ترويه برحيق قلبك .

رولاند ، يابهجة العيش ماللعيش بعدك من طعم ولا للحياة من لذة .

ماذا يهمنى من هذا العالم ومافيه من سماء صافية وكواكب منيرة وأرض ناضرة وحدائق زاهرة ومزروعات باسقة ، ماذا يهمنى من الثروة والجاه والعظمة والشهرة والقوة . والسعادة والسرور ، ماذا يهمنى من كل ذلك يارولاند وأنت لست بجانبى

عفاء على الدنيا ياورولاند فلقد صارت فى عينى أرضاً مجدبة قاحلة لا راحة فيها ولا هناء

ما أتفه الحياة بدونك ياورولاند ، ان كل لحظة فيها أبدية مملة هل أبقى لأعيش بعدك ؛ لا ، لا ، لا يمكن أن يكون ذلك ، ان أحلامنا لم تتحقق فى هذه الحياة فها انا لاحقة بك الى العالم الباقى لنحققها فيه كما نشتهى ونرضى .

الا سحقاً لك ايها الموت ما أظلمك تصيب ولا ترحم وتأخذ ولا تعطى ، وتختار ولا تنصف فبالله الا حكمت فعدلت ، وقضيت فى أمرى فقضيت ، فتصعد الى السماء بروحى وتنزل الى القبر بجسدى ثم تدعنى حيث ألتقى بالروح التى طالما سعدت معها بأيام ما كان أقصرها وساعات ما كان اهنأها وأنعمها

سلام عليك يا وولاند من كبد مقروح ، سلام عليك من فؤاد موجوع ، سلام عليك من حشاشة ذائبة ، سلام عليك من مقلة دامية . سلام عليك من نفس فانية .)

سلام ثم سلام وانى باقية على حبك ثابتة فى ولائك ، قسمة أن لا أنساك فالى اللقاء الى اللقاء . . . )

# النهاية

لم تنتفع الفتاة المسكينة بنفسها بعد اليوم الذي دفنت فيه حبيبها رولاند فقد زهدت العالم وما فيه والحياة وما شملت فوهبت كل ما ملكت يداها الأعمال البر والاحسان ومواساة الفقراء والمنكوبين تخليدا الذكرى حبيبها وصديقها رولاند كما وهبت نفسها الى العذراء فسكنت الى الدير لعلها تجد في حياة العبادة تخفيفاً لآلامها واندمالا لجراح قلبها ونسيانا للماضي ولكن الحزن كان قد نشب فيها أظفاره فنال منها مالم ينله من الايامى والثاكلات فأصبح من يراها يرى فتاة شقية بائسة ، ومخلوقة تعيسة منكوبة ، مذهوباً بها كل مذهب تهيم في كل مكان ، تارة تراها عند المحراب راكعة تتوسل وتتضرع الى الله أن يقرب من أيامها ويدني من ساعتها ، وتارة تراها جالسة الى مقعد مكبة برأسها بيديها تبكي وتنتحب ، وطوراً تجدها رافعة وجهها الى السماء تستمد من عليائها الرحمة والمغفرة وطورا تسمعها تهتف وتصرخ ، رولاند؟ رولاند!؟ ولم يزل هذا شأنها حتى رآها بعض رفيقاتها في صباح يوم من الايام ملقاة في فناء الدير جثة هامدة ضحية غرامها ووفائها فبللوا بالدمع تربتها وبكوا عليها بكاء مراً كان هو كل ما نالها من الرحمة في هذا العالم. انتهى

## فهرس رواية الشهداء